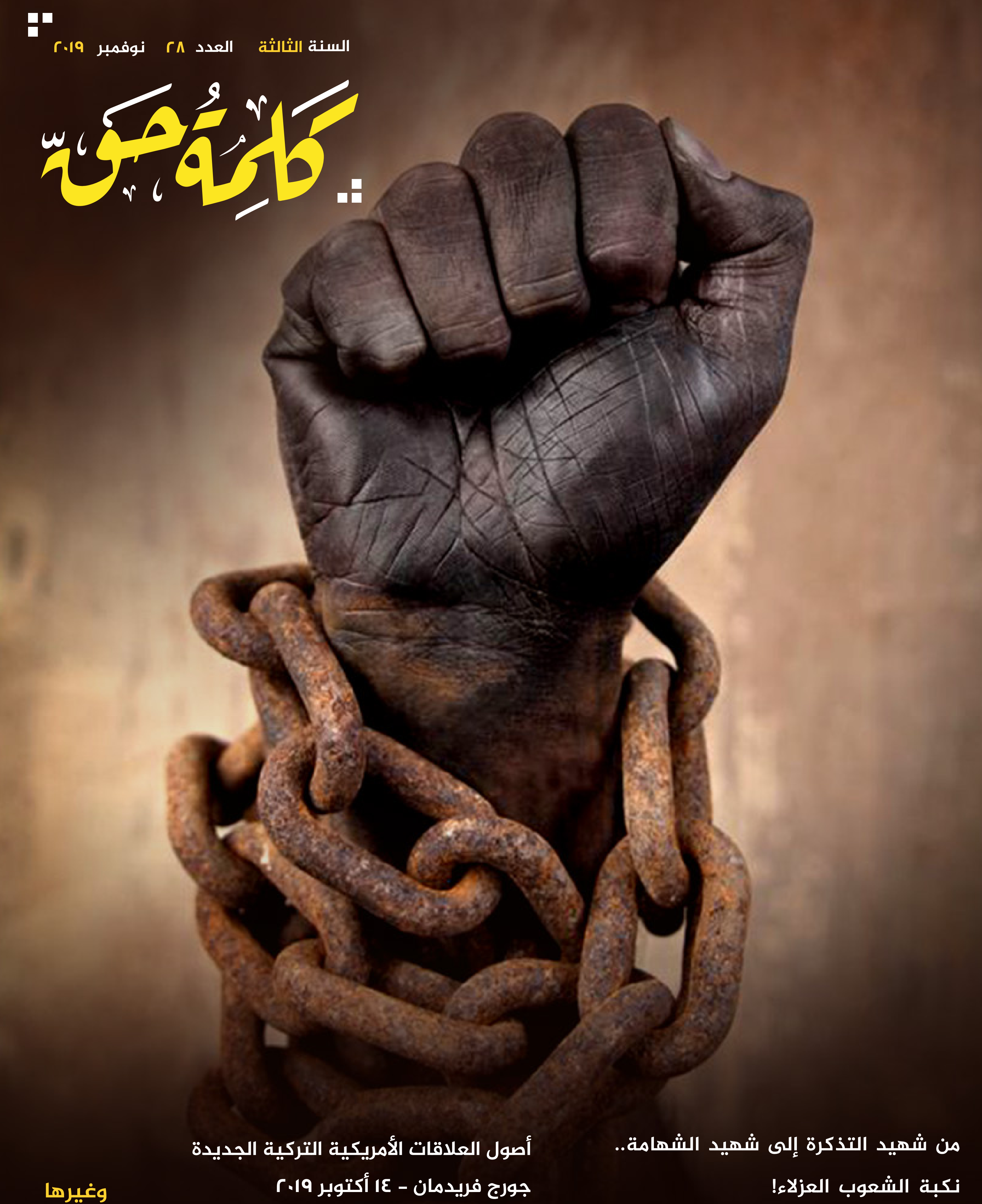
السنة الثالثة العدد ٢٨ نوفمبر ٢٠١٩

كَلِمَةُ حَق



من شهيد التذكرة إلى شهيد الشهامة..

نكبة الشعوب العزلاء!

محمد إلهامي

قراءة في كتاب من بلاط الشاه إلى سجون الثورة،لإحسان نراغي

أحمد الحمدان

أصول العلاقات الأمريكية التركية الجديدة

جورج فريدمان - ١٤ أكتوبر ٢٠١٩

ترجمة: أسامة خالد

غزة .. الوجه الآخر للحرب

أحمد قنيطة

وغيرها

من

المقالات ..

محتويات العدد ٢٨

••• نوفمبر ٢٠١٩ •••

كلمة حق

klmtuhaq

دورية ثقافية معرفية

نخبة من الكتاب والمفكرين

المشرف العام
محمد إلهامي

مديـــر التحـــرير
حامد عبدالعظيم

ترحب مجلة 

باستقبال مقالات القراء ،

إذ تعمل هيئة التحرير على فرزها ونشر المتميز منها في كل عدد جديد ،

يُرجى إرسال المقالات على البريد التالي

Klmtuhaq@gmil.com



klmtuhaq   



الافتتاحية ..

من شهيد التذكرة إلى شهيد الشهامة.. نكبة الشعوب العزلاء!

محمد إلهامي

في لحظة كتابة هذه السطور عمَّت مصر فاجعة جديدة، شابان لا يمتلكان أجرة القطار، أجبرهما الكمسري على النزول منه وقد بدأ القطار في السير، وإلا فإنه سيسلمهما إلى الشرطة في المحطة التالية. ولأن الشرطة في مصر نموذج للرعب الفظيع فقد كان أهون على الشابين أن يخاطرا بالقفز من القطار المتحرك، قفز أحدهما ففقد ساقه، وقفز الآخر فسقط تحت القطار فانفصلت رأسه عن جسده!

وهكذا بدأت قصة شهيد التذكرة!

الكارثة هنا كثيفة الجوانب، يمكن أن نلعن السيسي الذي تسبب في الفقر حتى عجز الشاب عن أجرة قطار، ويمكن أن نلعن الكمسري -ممثل السلطة في القطار- الذي كان له من السطوة والنفوذ ما يملك به أن يجبر اثنين على إلقاء أنفسهما إلى الموت، ويمكن أن نلعن الجبن والعجز الذي شمل ركاب القطار حتى لم يستطيعوا أن يدافعوا عن الشابين في وجه الكمسري أو حتى لم يستطيعوا أن يجمعوا لهم من أموالهم ما يبلغ قيمة التذكرة، ويمكن أن نلعن جهاز الشرطة المصرية السفاح القبيح الذي صار جهاز خوف دونه الإقدام على الموت، وأخيرًا: يمكن أن نلعن الخوف الذي منع هذين الشابيْن أن يفتكا بالكمسري أو حتى أن يقفزا به معهما إلى الموت!

وهذه القصة ليست سوى حلقة واحدة في مسلسل مصري طويل..

ولئن كانت هذه القصة ستشغل المصريين زمنًا، فلقد سبقتها مباشرة قصة أخرى، قصة الفتى محمود البنا، حتى تحولت قضيته إلى رأي عام، وخلاصة القصة أن محمودًا رأى فتية آخرين يتحرشون بفتاة فحاول الدفاع عنها، فأفلتت الفتاة لكنهم اجتمعوا عليه، وأخرج أحدهم مِطواة فطعنه بها فقتله! ولأن الجريمة صُوِّرت بالفيديو كانت أشد تأثيرًا، ولأن التحرش جريمة ينتفض لها الجميع بمن فيهم الإسلاميون والليبراليون والنسويون فقد صارت قضية رأي عام. وقد زاد في المأزق أن القاتل من أسرة نافذة، والنفوذ في مصر فوق القانون وفوق الأخلاق وفوق الفطرة، وتطورات القضية حتى الآن برغم ما يحوطها من الزخم الملتهب تسير في صالح القاتل، وفيما يبدو سيذهب دم المقتول هدرًا.

ثمة جزء هامشي صغير حاول البعض إثارته، ولكنهم فوجئوا بهجوم شديد، ذلك أن الفتى القتيل هو ابن رجل كان مشهورًا بالولوغ في دم الإخوان المسلمين منذ أيام الانقلاب، وشارك في حملات مطاردتهم وضربهم وتحطيم ممتلكاتهم، وكان يفخر بهذا ويعلنه ويكتبه ويحرض عليه ويهدد ويتوعد! فهو الآن يذوق حرقة قلبه على ولده كما فعل هو نفسه في قلوب عدد ممن لا نعرفهم من المسلمين.

نعم، إن هذا جزء هامشي بسيط في القصة والغرض الذي نكتب لأجله هذه السطور، لكنه يجب ألا يفوت، ويجب ألا يُنْسَى، بل يجب أن يُذَكَّر به، فإن العاقبة تردع الظالم أحيانًا. ومع هذا فلا يمنع هذا من التعاطف مع الفتى المقتول، ولا السعي في الاقتصاص له من قاتله، ولا التهوين من دمه، ولا الشماتة فيه.

وبعد أن يتضح هذا نبدأ في الحديث عن الغرض من ذكر هذه القصة ثم ما يليها:

حسب القانون المصري المليء بالخروق القانونية فلن تكون عقوبة القاتل الإعدام، ولو افترضنا أنها ستكون فذلك سيكون بعد شهور أو سنين، وبعد أن تنفق أسرة الفتى المقتول ظلمًا من الأموال والنفوذ والوسائط ما تستطيع أن تعادل به تأثير نفوذ أسرة القاتل وأموالها. وبهذا يكون أهل القتيل قد خسروا حياة ابنهم الفتى الناضر في مقتبل العمر، وخسروا معها أطنان الأموال لجمع الوساطات ورشوة القضاة والشهود ليُشفي صدرهم بموت القاتل. هذا مع أن الجريمة واضحة ومصورة، فلا هي غامضة ولا هي معقدة.



وقد ينفقون هذا كله ثم لا يعاقب القاتل إلا بسنوات معدودة في سجن الأحداث، أو حتى في سجن الجنائيين، وهو السجن الذي يمكن لأهل النفوذ والمال تحويله إلى حياة جيدة، ثم يخرج قبل أن يكمل المدة بعفو عام أو بقضاء نصفها أو ثلاثة أرباعها أو نحو ذلك.

لماذا؟.. ما الذي أوصلنا إلى هذا الشكل المعقد؟!

أشياءُ كثيرة أوصلتنا إلى هذا الوضع، لكن أهمها في الواقع شيء بسيط جدًّا.. أن الفتى المقتول، لم يكن يمتلك سلاحًا!

بحسب الفيديو المنشور، حين رأى الفتى أنه يواجه مسلحين حاول الهرب، لكنهم حاصروه، ثم طعنه صاحب السلاح. هنا تبدو اللحظة الفارقة في أوضح أشكالها، كان أحدهم يمتلك سلاحًا وكان الآخر أعزل، لقد كان المشهد سيختلف تمامًا لو أن الفتى كان يمتلك سلاحًا يدافع به عن نفسه، أو كانت الفتاة التي وقع التحرش بها تملك سلاحًا تدافع به عن نفسها، في هذه الحالة لن تمتد يد المتحرش إلى الفتاة، ثم لن تمتد يد القاتل إلى الفتى إلا وهو يعرف أن الثمن الذي سيدفعه ربما يكون: حياته، أو عاهة دائمة، أو جرح عميق يظل علامة في وجهه وجسده سنين عددًا!

غياب هذا السلاح البسيط من يد المقتول هو الذي صنع هذه المأساة..

إن المواطن الصالح الملتزم بالقانون هو المواطن المقتول المقهور المذبوح، وغياب السلاح من يد المقتولين المقهورين المذبوحين، هو الذي يجعلنا نتوسل مؤسسات الدولة وقضاءها وشرطتها وساستها وإعلامها ونبذل لهم الأموال والدموع ليتكرموا علينا بعقاب القاتل، وربما نجحنا في استدرار عطفهم وتوسل كرامتهم فعاقبوه كما أردنا، ولكن الأغلب أننا لا ننجح.. ونعود بهوان الدنيا وخزي الحياة وغيظ الصدور وقهر الرجال!

ما الذي يجعل الجزار قادراً على ذبح مئات الدجاج في اليوم الواحد؟ إلا أن الدجاج لا يملك سلاحًا يدافع به عن نفسه؟!

لقد وقع شيء كهذا في يوم جلسة المحاكمة للقاتل، ولقد صُوِّر بالفيديو أيضًا، بغل من بغال الشرطة انتزع الهاتف المحمول من يد سيدة يريد أن يفتشه، ولما تشبثت به ضربها، فلما حاول الناس أن يهرعوا لها (وهم لا يعرفون أنه شرطي) أخرج سلاحه وصرخ فيهم ففروا كما تفر الدجاج تمامًا! ثم سيقت المرأة المقهورة بالضرب والإهانة حتى أدخلوها سيارة الشرطة.. ولا أحد يدري مصيرها!

لماذا استطاع البغل الواحد أو البغلان والثلاثة أن يفضوا عنهم جمهورًا من الناس، فيتناثر كالشذرات المتطايرة من نفخة الهواء؟! إنه السلاح!

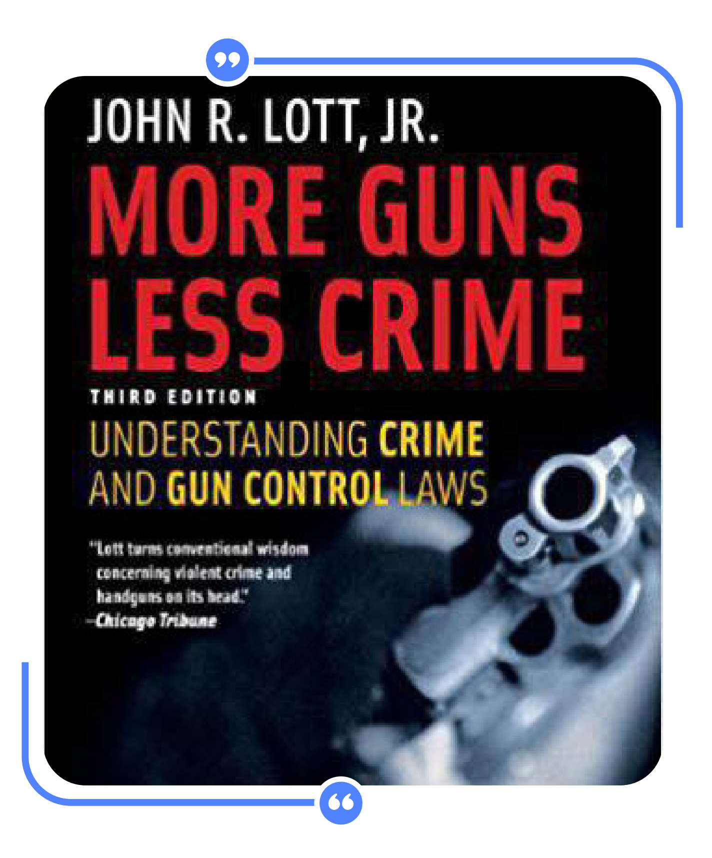
أتذكر شابًا أمريكيًا كان يتحدث مع بعض أصدقائنا في أيام الثورة الأولى، فاقترح عليهم أن يجعلوا في الدستور المصري القادم حق حمل السلاح، ونظر إليه أصدقاؤنا ساخرين، فكلهم من فئة المواطنين الصالحين الذين يريدون دولة مدنية محترفة مثل أوروبا وأمريكا: الشعب فيها أعزل والشرطة تحترم القانون، فقال لهم: نحن في أمريكا لو لم نكن نملك السلاح لفعلت بنا حكومتنا مثلما تفعل بكم الحكومات العربية! بعض أصدقائنا عرف من هذه العبارة ولأول مرة أن أمريكا شعب مسلح!



سيكون عملًا ممتعا لو قررتَ قراءة المناقشات التي تداولها واضعو الدستور الأمريكي عن حق حمل السلاح، وكيف أنهم أقروه في النهاية لكيلا تكون ثمة فرصة للحكومات للاستبداد بالشعب، أو لكيلا تكون ثمة فرصة للمحتل (الإنجليزي) ليعود مرة أخرى.

يقـول بعضهـم: ولكن إباحة حق حمل السلاح للشعب فيه خطر، أمريكا نفسها تعاني من بعض المجانين الذين يحملون سلاحًا فيقتحمون مدرسة ويقتلون بعض أطفالها، يحدث هذا كل عدة أشهر. في الواقع كان هذا أيضًا رأي أوباما الذي كان يقيم مشهدًا تمثيليًا دامعًا بعد كل حادثة ليحاول تغيير هذا الوضع الذي يبيح حمل السلاح للشعب، وكان أفضل ردٍّ على ذلك ما قاله ترمب: إن السبب الأساسي في قلة عدد الضحايا وسرعة السيطرة على القاتل أنه كان بالقرب من الحادثة رجل مسلح آخر!

وقد صدق ترمب، لو كان القاتل لا يجد مسلحين لكان قد استمر في جريمته حتى يشعر بالملل، أو حتى تنفد رصاصاته، أو حتى تأتي الشرطة.. بينما وجود مسلح آخر في المكان جعل الحادثة تمر بأقل الخسائر.



في كتابه «بنادق أكثر جرائم أقل» يرصد جون لوت انخفاض معدل الجرائم بعد صدور قوانين إباحة امتلاك السلاح، أي أن انتشار السلاح لم يتسبب في مزيد من الدماء بل على العكس، لقد أدى هذا الوضع إلى توازن الردع.. ووضع في كتابه هذا الرسوم البيانية من واقع معدلات الجرائم مقارنة بين الأعوام السابقة والتالية لصدور القوانين.

وهذا أمر نستطيع أن نلمسه في واقعنا ببساطة، إن الجرائم لا تنتشر في المجتمعات المسلحة، بينما تنتشر في المجتمعات المدنية، ويمكن -في الحالة المصرية- المقارنة بين انتشار الجرائم في الصعيد وانتشارها في الوجه البحري. في الصعيد مثلًا لا تبرز ظاهرة البلطجة، بينما بلطجي الوجه البحري قادر على فرض سطوته ونفوذه بالدماء في المنطقة التي يسكنها «المواطنون الصالحون» العُزَّل!!

والآن.. إذا استرجعنا صورة الحادثة التي وقعت، فأي شيء أفضل؟

أن يعرف القاتل أن الفتاة مسلحة وأن الذي يدافع عنها مسلح مثله فيرتدع أولًا؟!

ولئن لم يرتدع وقرر خوض المغامرة فخرج منها مقتولًا أو مصابًا؟!

فإن خرج قاتلًا عاش بقية أيامه في خوف من أهل القتيل المسلحين الذين سيفكرون حتمًا في الثأر؟!

أم الأفضل أن يمارس هوايته في التحرش ثم في القتل ثم يسعى أهله لدى الدولة المسلحة بما عندهم من النفوذ فيحمونه من العقوبة؟!

سأنقل لك الآن مشهدًا خياليًا..

تصور أن الناس جميعًا يسيرون في الحياة عراة، لا يملكون ما يحميهم من برد الشتاء أو من حر الصيف أو حتى من عيون الناظرين! ثم تصور أن هؤلاء العراة ليسوا في الشارع وإنما هم في ساحة عريضة يتسلى السادة بمشاهدتهم وإطلاق النكات الساخرة على عوراتهم! ثم تصور أن بعضًا من هؤلاء السادة الذين يرتدون الملابس الفاخرة نزل من موقعه في مقاعد المتفرجين ليعبث ويصطاد بعضًا من هؤلاء العراة يتسلى بهم.

هل قلتُ إنه مشهد خيالي؟!

أعتذر لك.. إنه واقعنا نحن في الدولة المتوحشة التي تحكمنا!

لئن كان لدى الأوروبي الآن فسحة من النظر والاختيار بين مجتمع مسلح يحميه من الجريمة، وبين دولة محترفة تحميه من الجريمة (دولة محترفة بمعنى: شرطة مستعدة، قضاء مستقل، قوانين صارمة، تنفيذ لا يجامل)، فنحن في بلادنا لا نملك هذه الفسحة.. نحن في السجن والأسر والهوان، دجاجات عند الجزار، فئران يتسلى بنا القط والكلب والضبع، كأننا صورة تصورها الشاعر لما قال: **من لاذ بالسيف لاقى فرصة عجبًا موتًا على عجل، أو عاش منتصفًا**

أي: من كان محتميًا بسلاحه فهو في فرصة ممتازة، إما يموت بسرعة أو يعيش بكرامة..

وإذا وصلنا إلى هذه النقطة جاز لنا أن نتصور: هل كان سهلًا على والد محمود البنا مطاردة الإخوان وتحطيم ممتلكاتهم والتحريض عليهم لو أنه يعلم أنهم مسلحون، وأنه سيجد في طريقه مقاومة عنيفة؟!

حسنا، هل لو كان اعتصام رابعة مسلحًا بعدد مئات آلاف من كانوا فيه، هل كانت ستحدث مذبحة على هذا النحو المروع البشع؟! أم كان ذلك السلاح سيكون إنقاذًا لآلاف الناس حتى لو فُضَّ الاعتصام في نهاية الأمر!

أعرف أن حديث تسلح الثورة حديث طويل الذيل حافل بالتفاصيل.. لهذا لن أخوض فيه الآن.. لكن الشاهد المقصود هنا أن توازن الرعب -لا توازن القوة- هو في صالح الطرف الأضعف المظلوم دائمًا!

" إن الضحية العزلاء مغرية لافتراسها، قرار سهل يتخذه أي بلطجي في الشارع، أو أي ضابط شرطة فاسد دون أن يتردد أو يتوقف.. بينما قرار الحرب مع الضعيف قرارٌ صعب، روبرت جيتس وزير الدفاع الأمريكي نفسه -أعتى قوة في تاريخ البشر- يوصي في نهاية مذكراته أن تكون الحرب هي آخر الحلول وينطلق يهاجم أولئك المغرورين الذين يتصورون أن فارق القوة يعني سهولة النصر.. ومذكرات جيتس كلها كانت عن ورطة الأمريكان في أفغانستان والعراق! فانظر وتأمل كيف تشكو أعتى قوة في تاريخ البشر، ومعها حلف القوى الكبرى جميعًا، من مقاومة دولتين أحدهما (أفغانستان) فقيرة بائسة تعاني المجاعات ولا تملك شيئًا من عالم التقنية والسلاح، والأخرى (العراق) خارجة من حروب وحصار امتد لثلاثين سنة وعلى رأسها حاكم طاغية فاسد أهلك جيشه وبلده! "

يقول روبرت جيتس: «سلكت نهجًا طيلة مدة ولايتي كوزير مصممًا على تجنب أي حروب جديدة في الوقت الذي كنا لا نزال فيه متورطين في العراق

وأفغانستان. هل تذكرون المثل القديم القائل «عندما تجد نفسك في حفرة فإن أول ما ينبغي أن تفعله هو التوقف عن الحفر»؟ ما بين العراق وأفغانستان أعتقد أن الولايات المتحدة كانت في حفرة عميقة جدًا. إن كنا في مواجهة تهديد عسكري خطير للمصالح الحيوية الأمريكية فسأكون أول من يُصِرّ على رد عسكري ساحق، لكن في غياب مثل هذا التهديد لا حاجة للذهاب والبحث عن حرب أخرى. احتفظتُ بقول لونستون تشرشل يعود للعام 2491 في درج مكتبي ليذكرني كل يوم بحقائق معينة «لا تظنن على الإطلاق أن أي حرب ستكون سلسة وسهلة، أو أن أي شخص يبدأ هذه الرحلة الغريبة يمكنه أن يعرف المد والجزر والأعاصير التي سيواجهها. على رجل الدولة الذي يستسلم لحمّى الحرب أن يدرك أنه بمجرد أن تُعطى الإشارة، لن يعود مسيطرًا على السياسة وسصبح رهينة الأحداث الخارجة عن التوقعات والسيطرة». لذلك عارضت العمل العسكري كخيار أول». (ص٢١٩ من مذكراته).

مذكرات روبرت م. غايتس
وزير الدفاع الأميركي ومدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية سابقًا
الواجب
«من أفضل المذكّرات التي كُتبت في واشنطن على الإطلاق»
توماس ريكس، صحيفة النيويورك تايمز

المقصود أن الفريسة العزلاء لا يتردد أي ضعيف في نهشها، بينما الذي يمتلك حدًّا من القوة يمتلك أن يدافع عن نفسه، ويمتلك أن يُوَرِّط الذي يحاول افتراسه مهما كان فارق القوة بينهما عظيمًا!

بالأمس قُتِل البغدادي..

لكن شيئًا ما في قصة قتله لا يجري التركيز عليها كثيرًا.. لقد فجَّر نفسه، فمنع الأمريكان من اتخاذه مسلسلًا دراميًا طويلًا يتسلون بمشاهدته.. مثلما فعلوا بصدام حسين، أخرجوه ثائر الرأس منكوش الشعر يُقلبه أحدهم ذات اليمين وذات الشمال ويفتش في فمه وبين خلاياه (وقد فهم المشاهد الرسالة وعرف ماذا قد حدث فيه مما لم يُعرض)، ثم محاكمة طويلة هزلية، ثم إعدام في صبيحة يوم الأضحى.. مسلسل من الإذلال!

هذا فارق مهم بين مسلح وأعزل، كان قتله لنفسه أهون من أن يوضع في قفص الحيوانات ويعرض على الشاشات ويُغدى به ويُراح على التحقيقات والمحاكمات وسماع الاتهامات، وكافة ما تتقنه الحضارة الغربية من إبداعات التفاصيل والرموز!

ومهما يكن من أمر، فقد كانت ميتته هذه أهون وأشرف من كل مصير ينتظره، وكان الفضل فيها للسلاح الذي كان يملكه حتى اللحظة الأخيرة.

إن نظرية الشعب المسلح نظرية قديمة في تراث المقاومة والكفاح.. ويجب ألا نستغرب حين نعرف أن تجريد الشعوب المسلمة من السلاح كان على رأس أولويات الاحتلال الأجنبي وعملائه من قبله ومن بعده، ولم يستقر للاحتلال قرار في بلادنا إلا بتحويل شعوبنا من فرسان إلى فراخ! بل لربما تصيبك الدهشة حين تعلم أن المحتل يسعد أكثر بوجود حكومات قوية تسيطر على البلد، فهذا يسهل احتلالها، والغرب هو أكثر المعنيين ببناء مؤسسات مسيطرة مهيمنة على شعوبنا، هذا يظهر واضحًا في العديد من المواقف وفي مذكرات صناع القرار الأمريكان (راجع مثلًا هذا المقال) ولعلنا نفرد له مقالاً آخر فيما بعد.

شتان شتان بين شعوب قوية ترفع نزاعاتها إلى القضاء ليحكم بينهم فيكون حكمه تجنيبًا لحروب تنشب بينهم، وبين شعوب قضاؤها جزء من سلطة فاسدة لا يقضي إلا للقوي على الضعيف، ولو أنه قضى للضعيف يومًا فلن يستطيع الضعيف إنفاذ حكم القضاء أصلًا!

والناس حين يتوازنون في القوة فإنه يكفي في القضاء في منازعاتهم مجلسٌ عرفيٌ واحدٌ يقضي فيه حكماؤهم وأعيانهم، فتحقن الدماء وتُقضى الحقوق ويتراضى المتنازعون، وأما الضعفاء العُزَّل فإنهم يهلكون أعمارهم وأيامهم وأموالهم بين أقسام الشرطة والمحامين والنيابات وجلسات المحاكمات، ثم لا يعودون إلا ببعض حقهم، لو أنهم عادوا به!



قراءة في كتاب

من بلاط الشاه إلى سجون الثورة ،

لإحسان نراغي

أحمد الحمدان

هـذه قـراءة لكتـاب (من بلاط الشاه الى سجون الثورة) لعالـم الاجتماع والمؤرخ الإيراني إحسان نراغي، ويقع في (٣١٤) صفحة من طبعة (دار الساقي)، وقد قدم له الأكاديمي الجزائري (محمد أركون)، وتُرجم من قبل المترجمة اللبنانية (ماري طوق).

هذا الكتاب يعطي مادة مفيدة لتحليل سيكولوجية الطاغية وأُسس الحكم الشمولي والثورة.

عندما اتسعت الثورة وأصبح النظام مشلولاً، حينئذ فقط قبِل الشاه أن يُقابل أُناسًا ليسمع منهم المشورة ويغض الطرف عن أي انتقادات أو تشخيص قد لا يعجبه، فكان "نراغي" من هؤلاء الذين استطاعوا الدخول على الشاه في نهاية حكمه، وأدار جملة من الحوارات حول تشخيص وضع البلد والحلول التي يجب أن تُتخذ، وكانت كلها تصب في تقديم تنازلات حقيقية من الشاه من أجل إقناع الجمهور، ولكن كانت هذه الخطوات عبثاً في تلك اللحظة، أو تأخر أوانها كثيراً ولم يعد لها مفعول أو تأثير كبير.

الكتاب أُلف في التسعينيات -يعني بعد أكثر من عقد على سقوط ووفاة الشاه- ولكي يطمئن القارئ أن ما ذكره ليس من قبل استحضار الذاكرة، ذكر مراجع هذه المذكرات، وهي ملاحظات كتبها في الحوار مع الشاه، وملاحظات سجلها مستشار الشاه حول فحوى اللقاءات، وكذلك مصادر أخرى مثل الاعترافات والملاحظات التي أخذها من المقربين للشاه، والمسؤولين الكبار وضباط المخابرات، وغيرهم ممن استطاع الالتقاء بهم في السجن لاحقاً وقد ذكر أسماءهم.

ربما كانت الظروف آنذاك قد جعلت الشاه المتغطرس يقبل بعض النقد الحاد والصريح من جنس ما يطرحه إحسان نراغي، وربما لمس الشاه أن هذا النقد الصريح هو الأصدق في توصيف المشكلة، مما يعني أن بالإمكان أن تتخذ حلول لإنقاذ البلاد على ضوئه. (يُذكر أن المسؤولين السوفييت كانوا يتهيبون من ستالين وأن يطلعوه على الحقيقة المرة خوفاً من نزول نقمته عليهم، ولكن قائد القوات السوفيتية وبعد الاجتياح الألماني للاتحاد السوفيتي في الحرب العالمية الثانية كان يكاشفه بكل صراحة وبصوت عالٍ، وقد رأى ستالين أن هذا الأسلوب وإن كان فظاً إلا أنه يجعل القائد على بينة من أمره، فلذلك قبله، ولكن بعض الطغاة لا يريدون أن يسمعوا الحقيقة التي تنقذهم من مصيرهم إلى أن يهلكوا، والبعض مثل الشاه قد قبلها ولكن بعد فوات الأوان).

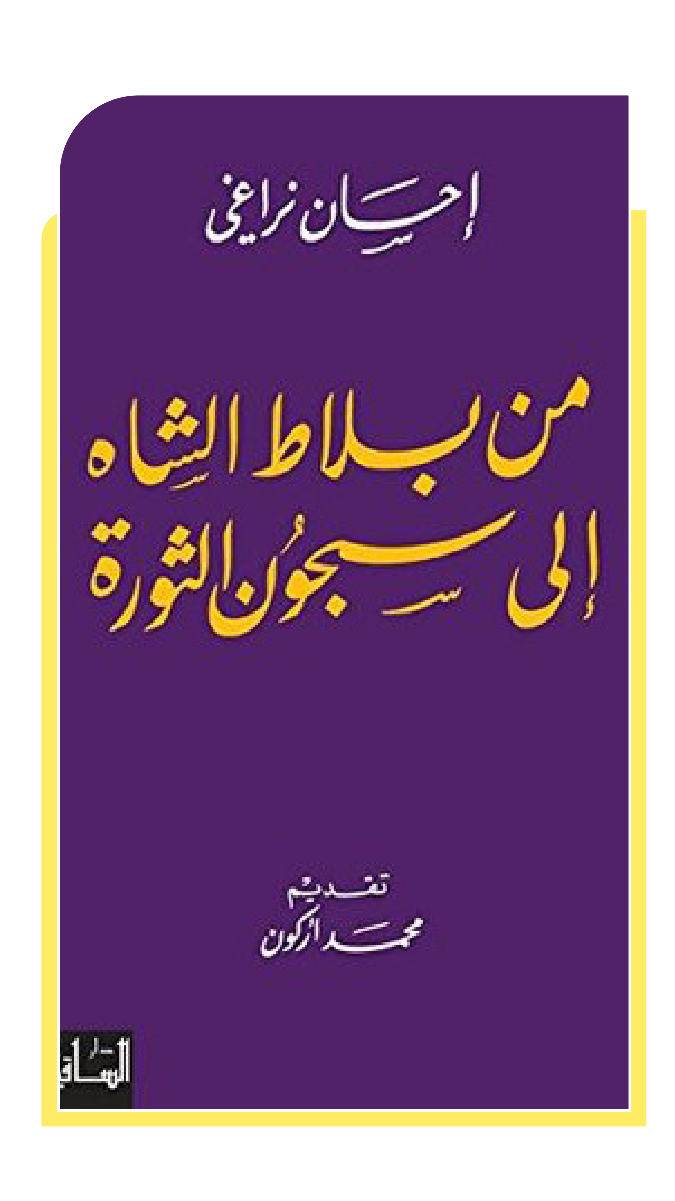
ويظهر أيضًا من خلال المؤلف أنه مقرب من دوائر الحكم وإن كان أظهر ميولًا معارضة، وذلك بانتقاداته في مؤلفاته لتغريب الشاه للمجتمع وبدعوته للعودة إلى دستور ١٩٠٦، وهو أقرب إلى فرح -زوجة الشاه- كما يظهر، وذلك بوجوده مرافقاً لها في بعض المناسبات. وهذا انعكس على توصيفه لها والذي قد يكون مُلمعًا نوعاً ما لها بالمقارنة مع بقية أسرة بهلوي -وهذا مما يجب التحرز منه-.

إحسان نراغي بعد أن ناصح الشاه ولكن في وقت "اتسع فيه الخرق على الراقع" وأُزيح الشاه عن الحكم، سُجن ثلاث مرات، ولكن المرة الأطول عندما انشق تلميذه أبو الحسن بن الصدر أول رئيس إيراني بعد الثورة- عن النظام ولجأ إلى فرنسا، رُبط الاثنان ببعضهم.

هذه المرات الثلاثة تنبئك عن إشكالية (الدعاية) وطغيانها على الحقائق الموضوعية. أحياناً تخرج شائعة عنك وتشيع بين الناس فتصبح من المسلّمات، حتى لو كانت كتاباتك كلها تنقضها، يصعُب تغيير هذه الصورة عنك أمام الناس. هذه إشكالية إحسان نراغي، المؤيد للشاه والذي كان ينتقده في كتبه، وتلميذه أبو الحسن الصدر الذي لم يره ولم يتواصل معه لسنوات! هذه الصور النمطية في الربط هي ما تجعل البعض يقع ضحية السجون لسنوات طويلة يضيع فيها عمره لمحض شائعة!

في هذا الكتاب وقفات كثيرة، منها:

١ أن الطاغية الذي بلغ قمة الترف وانغمس فيه واعتاد عليه؛ لن يشعر بك مطلقًا، ولا تظن قط أنه مهموم ومغموم لأنك تتلوى من الألم؛ وهذا ظهر من خلال حوار الشاه لمّا قال له المؤلف إن راتب سائقي هو ١٥٠٠ تومان! وأمده ببطاقة راتب السائق ليراها، يقول نراغي: "كان واضحاً أنه لم يرَ في حياته بطاقة راتب من قبل. بالإضافة إلى ذلك لم يكن قادراً على تصور ما يعنيه مبلغ ١٥٠٠ تومان!". فاضطر المؤلف أن يوضح ذلك بمثال فقال: "بهذا المبلغ، يعجز المرء حتى عن استئجار شقة من غرفتين في الحي الجنوبي!".



وهذه الملاحظة رآها الشيخ عمر بن محمود في قراءته لكتاب (السجينة) لمليكة أوفقير فقال: ”هذه الصورة في قصر الحسن الثاني من البذخ والحياة المترفة الغريبة جدًا، يدلّك على مَن الذي يحسّ بك، مَن يعرفك، من أنت، وما هي الشعوب؛ وكيف تعيش، وكيف تأكل، وكيف تشرب، هل يفكّر بك؟ هل يمكن في يوم من الأيام يحسّ بألمك؟ بجوعك؟ هؤلاء يعيشون ولا يحسّون بأمّتهم، ولا يعرفونها، ولا يعرفون هذه الأمة كيف تعيش، لا كيف تأكل ولا كيف تشرب ولا كيف تموت ولا كيف تحيى ولا يعرفونها، ولا يغرّنكم الصور“.

٢ كانت استراتيجية الشاه في تثبيت ملكه هي التطبيع مع إسرائيل من أجل نيل رضى اللوبي الصهيوني المؤثر في الدول الغربية، وقام بعملية تغريب واسعة للمجتمع، مصادماً بذلك كل العادات والتقاليد، وحارب رجال الدين، كل ذلك من أجل نيل رضى الدول الغربية، وبطش بخصومهِ حتى يخلق جواً من الخوف فلا يعترض عليه معترض، وظن أن بهذا يرى الغرب شريكًا مناسباً للحكم، لأن بدائله إما تيارات شيوعية أو دينية، فأراد أن يظهر بمظهر الحاكم النموذجي حسب المعايير الغربية. وتلك الدول الكبرى مستعدة أن تبذل الغالي والنفيس من أجل بقائه بالحكم، ومع ذلك لم يشفع له هذا وسقط! وهذا ما جعل الشاه يشعر بمرارة كبيرة جداً وجرح لم يندمل مع الوقت، كيف تخلّوا عنه رغم كل ما فعل من أجل نيل العلامة الكاملة؟!

فالدول الغربية دول برجماتية، تهمها مصالحها في المقام الأول، فمن أجل الاستمرار في الطاعة لابد من شروط، أولها ألّا يحاول العبد أن يرتقي إلى مقام

وهذا يدل على أن الأسياد قد يتخلون عن عبيدهم في وقت من الأوقات، حتى وإن حرص هؤلاء العبيد على إرضائهم.



السادة، وألا ينافسهم ويحاول تدريجياً أخذ مقام الند، فلا يفكر البتّة أن يطور بلده عسكرياً وتقنياً بشكل يجعله في مصاف تلك الدول، فتلك الدول الغربية لا ترضى إلا أن ترى الدول الإسلامية في مؤخرة الركب، فلا تقبل المنافسة في التطور ولو كان على رأس تلك الدول رئيس غربي أشد من الغربيين أنفسهم! وهذا الخطأ الذي وقع فيه الشاه -كما يبدو- وانظر إلى صفحتيّ (**٣٢ و٥١**) من الكتاب، وهي نقطة تنبّه لها الشيخ محمد سرور زين العابدين في كتابه (وجاء دور المجوس) (**ص٢٣١-٢٣٠**) فليُراجع.

ومن صور البرجماتية كذلك، محاولة مد الجسور مع المنتصر، فلا أحد يُراهن على الخاسر، والكل يريد أن يضع استثماراته في المركب السليم. وإن كان الخميني منتصراً ولا بد، فمن الأفضل التفاهم معه بدلًا من الاستماتة في الدفاع عن الشاه، مما يؤثر سلباً على مصالح تلك الدول. (وهذا ما حصل مع أمريكا ومصر مثلًا عندما قبلوا باستضافة الشاه).

٣ في هذا الكتاب ستعرف أن المخابرات لا يمكن أن تعرف كل شيء، ولا يمكن أن تحيط بكل شيء، وأحياناً تُصاب بشلل يؤدي إلى سقوط النظام، وهذا ليس محصوراً على السافاك (مخابرات الشاه)؛ بل حتى المخابرات المركزية الأمريكية، فقد اتضح من خلال وثائق السفارة الأمريكية بعد اقتحامها أنهم لم يستطيعوا استنتاج أن الأمور ستصل إلى ما وصلت إليه! فالصورة الخارقة والمبالغ فيها هي من الدعاية التي تحرص المخابرات على أن ترسخها في أذهان الناس، وهذا يؤدي الى الكف عن أي معارضة بحجة أن كل شيء مكشوف ومعروف! بينما الأمر ليس كذلك (وحبذا لو ترجع إلى كتاب (فن التجسس) لهنري كرامبتون لتعلم أن الجهد الاستخباراتي جهد بشري وفيه من القصور والأخطاء الشيء الكثير، فالصورة في الإعلام شيء والواقع شيء آخر).

٤ ترى في هذا الكتاب أن الشخص الذي تتعاظم شهرته يصبح من الصعب استهدافه، وأن أي استهداف له هو بالضرورة إسقاط للمستهدف، وضرب المؤلف مثلًا بعلي شريعتي والخميني فيقول: "صحيح أن الزعماء الدينيين لم يكونوا موافقين تماماً على طريقته -أي علي شريعتي- في تفسير القرآن والأحاديث النبوية، لكن هؤلاء المرشدين أنفسهم، ما إن وعوا أن حركته آخذة بالاتساع حتى توقفوا عن انتقاده". ويقول عن الخميني: (لن يجرؤوا -أي رجال الدين- على معارضة الخميني علانيةً. هم مرغمون على إخفاء أفكارهم وعلى الظهور بمظهر المؤيدين له، خوفاً من الانعزال عن الجماهير التي يستمدون قوتهم منها).

بعض الشخصيات إن اُعتقلت أو اُغتيلت وتعاطف الناس معها وعاطفة الناس مقدمة على كل الحقائق الموضوعية التي تُقال عنها فلا تقبل انتقادها في ذروة المصاب، فلا يسع الناقد إلا الانتظار لزوال هول الصدمة، وزوال السكرة، ليمارس انتقاده؛ هذا مما يستفاد من هذا النص من وجهة نظري!



فهذه الشخصيات كان من الصعب انتقادها والبعض يسكت رهبة ورغبة، إلا أن انتقادها في وقت لاحق أصبح مباحًا ولو في نطاق معين. وعلى هذا فقِس! ولكن لا يُعاب على كل أحد سبح عكس التيار وأنكر في وقت الذروة، وهذا الأمر يخضع لنوع المنكر والمصلحة في عدم تأخر إنكاره، فثمّة أمور لا يجوز تأخر بيانها عن وقت الحاجة.

٥ نظم الحكم تقوم على الموازنات، البعض تتعبه هذه الموازنات ويراها عائقاً لما يراه من التقدم، فيحاول التخفف منها بإهمالها أو معاداتها، فتتحالف القوى التي تشكل توازناً في المجتمع ضده وتؤدي في النهاية إلى إسقاطه، فالشاه مثلًا تصادم مع التيارات الدينية الشيعية بقيادة الخميني، وكذلك الشيوعيين، والجبهة الوطنية من القوميين أتباع "مصدّق" وأصحاب نظرية الملكية الدستوري أمثال كريم سجنابي و وتجار البازار، ناهيك عمن في الخارج مثل دول الجوار كالعراق الذي اتُخذ ولو جزئياً قاعدة للمعارضين الإيرانيين، أو الشخصيات البارزة مثل الفيلسوف جون بول سارتر وغيرهم الكثير من الحقوقيين والناشطين. فاجتمع هؤلاء الفرقاء الذين يفرقهم كل شيء على هدف واحد هو إسقاطه، وبهذا تعلم أن الشخص لابد أن يُراعي مثل هذه الموازنات ويقلل الأعداء قدر ما يستطيع، وأنه كلما كثر أعداؤه =سهُل إسقاطه.

٦ الثورة تستفيد من الكفاءات ولا تلغيها، الثورة التي حصلت في إيران أسقطت نظامًا، ولم تسقط حكومة، فأصبح هنالك تفكك وفوضى، وأصبح من الضروري أن يُستفاد من خبرة رجال النظام السابق من أجل تسيير النظام الحالي، وليس المقصود هنا أوتاد النظام السابق ورجاله المخلصين، بل الأفراد العاديين، فعندما دخلت إيران في حرب مع العراق، أُفرج عن الطيارين المعتقلين، فكان لهؤلاء الطيارين دور في ترجيح كفة الحرب، خصوصًا أن طياري نظام الشاه تلقوا أفضل وأجود التدريبات في أمريكا. وكان هؤلاء الطيارين يحاولون أن يبرهنوا على وطنيتهم في التفنن بالحرب والدفاع بشراسة عن البلاد.

٧ من خلال محاورات نراغي مع الشاه، أظهر أن هنالك فرقاً جوهرياً بين المعارض الحقوقي والمعارض النخبوي، فدور الحقوقي يستطيع أن يقوم بهِ أي أحد، وهو دور مُركز على جوانب محددة (الإفراج عن المعتقلين أو إتاحة الحريات) دون توسع وشمول، بخلاف المعارض النخبوي الذي يجب أن يَلم بتاريخ البلاد ويستحضر الشواهد في عملية الإصلاح ويعرف اقتصاد البلاد وكيف يُدار، والثغرات التي تضر بالاقتصاد، وأين مكامن الفساد، وهذا لا يتم إلا بمعرفة نظم الاقتصاد

العالمي كيف تُدار وكيف تسير كمقدمة أولية، وكذا لابد أن يكون محيطاً بعلاقات بلاده الخارجية فيعرف مواقفها وتقاطعها، حيئنذ يستطيع أن يشخص المشكلة ويعطي لها حلولًا، لذلك من يقدم نفسه معارضاً ذا رأي وفكر، ثم يظهر أمام الناس جهله وعدم إلمامه فيما يخص بلاده، فمن الأفضل أن لا يتعدى عتبة الصنف الأول من المعارضة وهو الجانب الحقوقي.

٨ كذلك من خلال الكتاب وقصة دخول نراغي السجن، تستفيد من الاحتكاك القسري بين المعتقلين أصحاب التوجهات المختلفة، وهذا يجعل الفرد أكثر انفتاحاً وأكثر بعداً عن الانغلاق الأيديولوجي الذي كان عليه، فمن خلال المحاورات مع الآخرين قد يكتشف أموراً وتتسع آفاقه بشكل أكبر مما كانت عليه في السابق، وهنا ليس القصد أن ينتكس الشخص عن فكرة المعارضة، وإنما تغيّر في بعض التكتيكات مع الثبات على الإستراتيجية. وربما تكون الإستفادة لو كانوا أفراداً مجتمعين مع بعض أكثر مما لو كانوا مجموعات مع بعض، فالاصطفاف يكون حاجزاً أمام فكرة التأمل هذه، حتى لا يظهر الشخص أمام رفاقه بالضعف

وكذا تكلم نراغي عن تحوّل أفراد (مجاهدي خلق) في السجن إلى التعصب للنظام الإسلامي، أي تحول من النقيض إلى النقيض، وكانت استراتيجية (مجاهدي خلق) أو (المجاهدين) هي الجمع بين المسحة الإسلامية في القشرة والتصور الماركسي المادي في اللب، وكان السجن فرصةً لمعتقلي مجاهدي

الخلق لبيان استحالة الجمع بين النقيضين، فانحازوا في النهاية إلى التصور الإسلامي الصرفْ -حسب نظرهم- وهو نظام الجمهورية الإسلامية بقيادة الخميني بتنقية الإسلام عن المادية وكذا تكلم نراغي عن تحوّل أفراد (مجاهدي خلق) في السجن إلى التعصب للنظام الإسلامي، أي تحول من النقيض إلى النقيض، وكانت استراتيجية (مجاهدي خلق) أو (المجاهدين) هي الجمع بين المسحة الإسلامية في القشرة والتصور الماركسي المادي في اللب، وكان السجن فرصةً لمعتقلي مجاهدي الخلق لبيان استحالة الجمع بين النقيضين، فانحازوا في النهاية إلى التصور الإسلامي الصرفْ -حسب نظرهم- وهو نظام الجمهورية الإسلامية بقيادة الخميني بتنقية الإسلام عن المادية

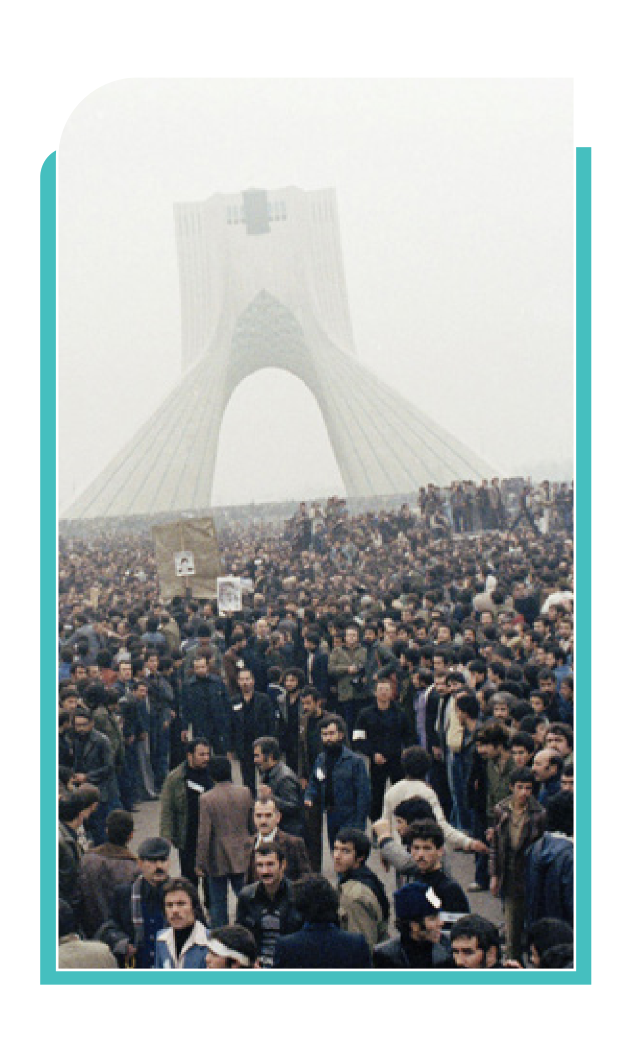
أحياناً لا يستطيع الشخص أن يرى هذه الغشاوة لولا هذه الظروف.

٩ تكلم نراغي بشكل مطول عن صراع النظام الناشئ وبين مجاهدي خلق أو كما أسماهم في الكتاب "المجاهدين"، ورغم ضراوة حروب العصابات بين الطرفين، كانت نقطة التحول في المعركة اغتيال كبار المسؤولين، من بينهم رئيس الوزراء وبعض رجال الدين أثناء اجتماع لمجلس الدفاع الأعلى في إيران أثناء الحرب الإيرانية العراقية- مما جعل مجاهدي خلق يظهرون بمظهر المعادي لوطنة، وهذه العملية أثارت استنكاراً كبيراً في أوساط الشعب، واستغلها الخميني ونادى بواجب الكشف عن عناصر مجاهدي خلق، فأصبحوا في مواجهة عامة الناس المؤيدة بمجموعها لرجال الدين الواقفين مع الحكومة، فنتج عن ذلك أن الأسرة أصبحت تفضح ابنها المنضم لمجاهدي خلق، فتقلصت بذلك قوتهم تدريجياً إلى أن أصبح أثرهم ضعيفاً.

وهذا يدلك أن بعض الأفعال وإن كانت مؤثرة وتضرب في الصميم إلا أن التوقيت قد يجعلها تعود بأثر سلبي على صاحبها، فبدلًا من أن تقوض تلك العملية الحكومة أدت الى تقويض الحركة نفسها! فالتوقيت عامل مؤثر لا يجوز استثناءه أو إهماله من المعادلة - مهما كان الهدف كبيراً .

ويستفاد منه أيضاً عدم الدخول في مواجهة مع عامة الناس ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فأي مواجهة مع عموم الشعب، يعني الموت المحتم لأي عمل، فالشعب هو الماء والهواء للحركة واذا انقطع الماء والهواء ماتت الحركة.

١٠ بقاء جملة من المعارضين في بلدٍ ما، ثم تواطؤهم مع حكومة هذه البلاد واحتضانها لهم، أو دعم حكومة هذه البلد لهم -مع طول المدة-، يجعلك تشك لزوماً بتطور هذه العلاقة من دعم بسيط إلى وجود ارتباط ما بين هؤلاء المعارضين وحكومة تلك البلد، وهذا ما حصل مع "حزب توده" الإيراني الذي عاش بعض قياداته في الاتحاد السوفيتي لعقود، ثم رجعوا "كاثوليكيين أكثر من البابا نفسه" كما يقول نراغي، وكان لهم دور في تأزيم الوضع بالتستر تحت عباءة الخميني، ولعبوا دوراً حاسماً في القضاء على حكومة "برزكان"، وكانوا في الظاهر مناصرين للنظام الإسلامي والخميني، ولكن في الباطن كانوا يسعون لضرب الأطراف ببعضها.



ولكن ما أجهض مشروعهم أمران، استئثار مَن يسمون بالإسلاميين بالمناصب المهمة والرفيعة في الجمهورية، ورصدهم عن كثب من قبل الحرس الثوري، ولكن ما حسم المسألة هو انشقاق أحدهم وتقديم الأدلة على عمالة هؤلاء وأنهم يسيرون وفق مخطط مرسوم، ومع تراكم الأدلة أُقصوا من العملية السياسية تماماً، وأجهضوا ذراع الاتحاد السوفيتي وأبعدوه عن المشهد. (يقول نراغي إن هذا أثار رجال استخبارات الشاه الذين كانوا في السجن؛ إذ كانت حكومة المعممين أفضل أسلوبًا من نظام الشاه في التعامل مع الشيوعية وإخصائها).

بعيداً عن هذه الأحداث بعينها، لكن تستفيد منها بشكل عام في حال حصول ثورة بشعارٍ إسلامي، وهي عدم تولية من يعمل ضد المشروع الإسلامي في المناصب الحساسة والرفيعة (ولم يولِّ الرسول صلى الله عليه وسلم منافقاً قط)، ويجب الشك فيمن فعل ما يوجب الشك به! وقد قيل: أكون خائفاً حذراً ولا أكون غافلاً مطمئناً!

***



فخلاصة الكلام: أن هذا الكتاب ينبئك عن التغيرات الجذرية التي تطال المجتمعات بسبب الثورات، وعن برزخ التغير الذي يكون بين حالتين، حالة الفوضى والاستقرار، ومن الجيد أن يُستفاد من هذه التجارب؛ لكي يوفر المسلم على نفسه من الحفر التي قد يقع بسبب جهله بها، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها، سواء وجدت هذه الحكمة في مجتمعات نختلف أو نتفق معها، فمن الجيد أن يختصر الشخص على نفسه الطريق، وأن لا يطيله بسبب جهل كان هنالك ثمة متسع لكي يدفعه عن نفسه.

وعلى الهامش فإن بيان ما يستفاد من هذه الأحداث ليس إقراراً بحال لاستثمار النظام الإيراني لهذه العثرات من أجل مداواة نفسه والمضي قُدمًا، وإنما بيان ما يستفاد من هذه الأحداث لإسقاطها على وقائع أخرى. رأيت أن بعض الكلام قد يُفهم منه ذلك، فأردت أن أضع توضيحاً في الخاتمة يقيد المحتمل من اللفظ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



أحـمـد
قنيطة

غزة.. الوجه الآخر للحرب!

انتهى العدوان العسكري الصهيوني على قطاع غزة عام ٢٠١٤ م بعد اثنين وخمسين يوماً من الجرائم القذرة بحق الشعب الفلسطيني المجاهد، خلّفت ما يزيد عن ١٧٤٠ شهيداً، وما يقارب ٩٠٠٠ جريحاً، ودماراً هائلاً في منازل المواطنين والبني التحتية للمؤسسات الحكومية والخدمية.

- لكن جبهات أخرى تخوض المقاومة الفلسطينية غمارها مع العدو ما زالت فيها المعركة مفتوحة على مصراعيها دون توقُّف، فالمجاهدون في غزة لا يعرفون معنىً للهدوء ولا الراحة كما يعتقد البعض، وحالة الهدوء الحذر التي تعيشها غزة منذ انتهاء العدوان الأخير تخفي خلفها معارك ضارية على عدة جبهات، حيث تواصل المقاومة الليل بالنهار إعداداً وتدريباً للارتقاء بالمجاهدين ورفع كفاءتهم القتالية، وتصنيعاً للأسلحة والصواريخ، وتطويراً للقدرات والإمكانيات التقنية والتكنولوجية، وحفراً للأنفاق الدفاعية والهجومية، وغيرها من ساحات الصراع المختلفة، في محاولاتٍ حثيثة ومتواصلة لتضييق الفجوة الهائلة على صعيد الإمكانيات والقدرات بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال.

العدو الصهيوني لم يدخر جهداً في توجيه ضرباتٍ متتالية لفصائل المقاومة سعياً لإشغالها بنفسها وتقويضاً لإمكاناتها وقدراتها، كي تبقى قوة غزة في دائرة الاحتواء والسيطرة، فما بين العدوان الأخير عام 2014م وحتى يومنا هذا، وجّه العدو العديد من الضربات الأمنية الاستخباراتية لقطاع غزة، كان أبرز تجلياتها اغتيال القائد القسامي المحرر في صفقة وفاء الأحرار "مازن فقهاء" بغزة في مارس ٢٠١٧م، والذي يتهمه العدو بإدارة وتوجيه العمل العسكري في الضفة المحتلة انطلاقاً من غزة، وكذلك نفذ سلاح الجو الصهيوني عدداً كبيراً من الغارات الجوية، ادّعى الاحتلال أنها كانت تستهدف منشآتٍ عسكرية وتقنية ومراكز للتصنيع الحربي والعسكري وعيوناً للأنفاق.

" لكن اللافت في التصعيد الأخير الذي نشب خلال شهر مايو الماضي، أن العدو قصف بناية سكنية "مدنية" زعمَ بأنها تستخدم كمركز لوحدات "السايبر" التابعة لكتائب القسام، ما أزاح الستار عن المعركة الخفيّة "الصامتة" التي تدور رحاها بين الوحدات التقنية والأمنية للمقاومة وبين العدو الصهيوني، الذي بات يشكو مؤخراً من كثرة الهجمات "السيبرانية" التي تنفذها جهات فلسطينية وعربية، ضد مواقع إلكترونية حكومية ومالية في الكيان. "

في المقابل، سددت المقاومة الفلسطينية وعلى رأسها كتائب القسام أيضاً ضرباتٍ جريئة فاجأت المستوى الأمني والعسكري لدى الاحتلال، وكان لها بالغ الأثر في توجيه الرأي العام في المجتمع الصهيوني إلى عدة قضايا، سواء في السلم أو الحرب، بهدف ضرب الروح المعنوية للمجتمع الصهيوني، والضغط على قادة الاحتلال من خلال تحريك المياه الراكدة لبعض الملفات التي يسعون جاهدين لصرف أنظار مجتمعهم عنها.



فقيادة العدو كثيراً ما تحظر النشر في قضايا وأحداث مهمة، كحظر النشر في قضية الجنود الصهاينة الأسرى لدى كتائب القسام، هروباً من دفع الثمن في أي صفقة تبادل قادمة، ولذلك اتجهت الكتائب لفكرة إنتاج أعمال فنية باللغة العبرية وتوجيهها لعائلات الجنود الأسرى على فترات زمنية متباعدة وفق الحاجة، ما دفعهم للتحرك والنزول للشوارع احتجاجاً على تقصير حكومة الاحتلال في العمل على استعادة أبنائهم.

وكذلك حظر النشر في تفاصيل بعض العمليات الفلسطينية النوعية، وآخرها عملية التصدي للقوة الصهيونية الخاصة شرق خانيونس التي كانت تحاول زرع أجهزة تنصت خطيرة في القطاع، إلا أنها فشلت في ذلك فشلاً ذريعاً وخسرت ضابطاً رفيع المستوى ومعدات تقنية وكنزاً معلوماتياً خطيراً سقط في أيدي مجاهدي القسام.

وحدات "السايبر" التابعة للمقاومة أبلت بلاءً حسناً ونفذّت عمليات تقنية حساسة، طالت العديد من المؤسسات الأمنية والعسكرية والحكومية والمجتمعية في كيان الاحتلال، فخلال العدوان الصهيوني عام **٢٠١٢م** ، وفي غمرة التهديدات الصهيونية بتنفيذ عملية برية واسعة لإنهاء حكم حركة حماس، استطاعت وحدات "السايبر" القسامية اختراق البث الفضائي للقناتين "الثانية والعاشرة" الأكثر انتشاراً ومتابعة لدى جمهور الكيان، تضمنت توجيه رسالة تهديد باللغة العبرية لسلاح المدرعات الصهيوني تحذره من مغبّة اجتياح قطاع غزة، ظهر فيها مقطع فيديو لاستهداف دبابة بصاروخ موجّه.



فكان ذلك بمثابة إعلان عن امتلاك القسام لصواريخ "الكورنيت" الروسية المتطورة لأول مرة، وقد علّق أحد كبار الصناعة الإعلامية في الكيان الصهيوني حينها "ايرز طال" على حادثة الاختراق بقوله: "إن الحديث يدور عن حادثة خطيرة وليس مجرد اختراق أو تشويش، وآمل أن تفهم المنظومة الأمنية إلى أي حد هذا الأمر خطير". وأضاف: "ما حدث أمس هو عرض للقوة، ومع القليل من الإبداع والتخطيط يمكن أن يخلق هذا الأمر حالة من الذعر الخطير".

وفي العدوان على غزة عام **٢٠١٤م** تمكنت قوة بحرية من "كوماندوز القسام" من تنفيذ عملية نوعية جريئة وغير متوقعة، وذلك باقتحام موقع "زيكيم" البحري، وقد فرض الاحتلال على العملية حينها تعتيماً إعلامياً كبيراً، وأعلن عن فشلها وقتل المُهاجِمين فور خروجهم من البحر، لكن قيادة القسام أكّدت نجاح العملية كما كان مخططاً لها، وأن العدو كالعادة يعمل على إخفاء خسائره كي لا تؤثر مثل تلك العمليات على الروح المعنوية والقتالية لدى جنوده.

الأهم من ذلك كله أن "سايبر" القسام نجح بعد عدة أسابيع من انتهاء الحرب في اختراق كاميرات الموقع العسكري، والحصول على تصوير يُظهر بطولة وبسالة المجاهدين الذين استطاعوا الاشتباك مع حامية الموقع، ومهاجمة دبابة صهيونية من "نقطة صفر" بعبوة لاصقة انفجرت على جسم الدبابة، قبل أن تستهدفهم طائرات الاحتلال ليرتقوا شهداء.

وهو يشبه ما حدث في عملية "موقع أبو مطيبق العسكري"، حين أجهز مقاتلو القسام على الجنود في الموقع وعادوا بسلام، ما أنكره العدو الذي زعم فشل الهجوم، لينشر القسام بعد الحرب بأسابيع تسجيلاً مصوراً حُصل عليه من كاميرات الموقع، يُظهر عودة مجاهدي القسام بعد تنفيذ العملية حاملين بأيديهم أسلحة خفيفة اغتنموها من الموقع، ما يؤكد مصداقية رواية القسام ويدحض رواية العدو.

تنوّعت أساليب المقاومة الفلسطينية في الوصول إلى المجتمع الصهيوني، الذي تفرض عليه قيادته سياجاً أمنياً وإعلامياً كي لا يتأثر بالعمليات النفسية والدعاية الموجّهة من قِبل المقاومة، فـ"مقص الرقيب العسكري" حاضر بقوة للتوجيه بحظر النشر في أي قضية يرى فيها المستوى السياسي والأمني ضرراً على الكيان، لكن المقاومة بما تملكه من أدواتٍ بسيطةٍ وعقولٍ جبارة، استطاعت أن تبدع في استخدام التقنية الحديثة والتكنولوجيا المدنية وتطوعها لخدمة أهدافها لإيصال رسائلها بطرق مختلفة ومتنوعة.

"فقد تمكّن "سايبر" القسام مؤخراً - وفق ما أعلن الإعلام العبري - من تضليل جنود وضباط صهاينة، عن طريق عمل حسابات "مزيفة" بأسماء فتيات وإقناعهم بتحميل تطبيقات "خبيثة"، تمكّن من خلالها رجال "السايبر" من الحصول على معلومات أمنية حساسة وخطيرة والتقاط صوراً لمواقع عسكرية، والتنصت على مكالمات ومراسلات بين بين الجنود وقياداتهم في الجيش."

وفي إطار حربها النفسية ضد الاحتلال إبان عدوان عام **٢٠١٤م**، أرسلت كتائب القسام رسائل نصية إلى الصهاينة مفادها: **"كتائب القسام تحذركم من اليد الطولى لصواريخها"**، "وأنه إذا تعرضت غزة لهجوم ستصبح حياتكم جحيماً"، وغيرها من الرسائل، ناهيك عن خداع "سايبر القسام" لجنود ومغتصبين صهاينة قاموا بتثبيت تطبيق "خبيث" على هواتفهم لحضور مباريات كأس العالم وفق ما أعلن إعلام الاحتلال.

المعركة بين قوى الجهاد والمقاومة والأعداء على أشدها في مختلف جغرافيا ساحات الصراع في المنطقة، وعدونا في حربه علينا يستخدم جميع الأساليب والطرق التكنولوجية لتحقيق التفوق العسكري التقني، وتعويض عجز وجبن جنوده أمام شراسة وإقدام مجاهدينا الأبطال ومقاتلينا الأشاوس.



فـي المقابـل فإن ضعف الاهتمام بالعلوم التقنية والأمنية لدى القوى الجهادية، يترك الثغر مكشوفاً أمام العدو ليستفرد بمجاهدينا ويفتك بهم بكل سهولة، دون أن يلحق به وبجنوده الجبناء أي أذى، لذلك وجب على قادة الثورة والجهاد أن يبذلوا قصارى جهدهم وأن يعملوا بجدية ومسؤولية للاستفادة من العقول العربية والإسلامية لخدمة مشاريع الثورة والتحرر في الأمة، وأن يعلموا أن عقول شبابنا الفذة -برغم ضعف الإمكانات- قادرة بعون الله على توجيه ضربات قاصمة للعدو حتى دحره من بلادنا يجر أذيال الخيبة والهزيمة.



إمبراطورية العسكر..

كيف كانت وكيف أصبحت؟

محمود جمال

يسيطر الجيش المصري على حكم الدولة المصرية منذ عام١٩٥٢ م، بعد انقلاب مجموعة من الضباط داخل الجيش المصري أطلقوا على أنفسهم اسم الضباط الأحرار على النظام الملكي الذي كان يحكم مصر في تلك الفترة، ونجحت تلك المجموعة فيما كانوا يريدون تحقيقه وسيطروا على الحكم وغادر الملك فاروق وحاشيته البلاد. وأيد الشعب والغالبية منه ذلك التحرك العسكري للجيش وأطلقوا عليه اسم ثورة ١٩٥٢ . ومنذ هذا العام أصبحت مصر جمهورية يحكمها الجيش ويسيطر على مقدراتها وأملاكها.



"ومن يقرأ المنشورات التي كانت تنشرها مجموعة الضباط الأحرار قبل سيطرتها على الحكم يرى أن أهم العوامل التي كانوا يذكرونها كسبب لرفضهم الحكم الملكي.. هو الاستبداد الذي يمارس على الشعب المصري من قبل طبقة حكم فاسدة تحكم سيطرتها على أملاك ومقدرات الشعب.[1]"

سيطر العسكر على حكم الدولة المصرية بشكل فعلي بعد إخراج اللواء محمد نجيب من حكم مصر عام ١٩٥٤م، فالرئيس نجيب كان ينظر إلى حركة الضباط الأحرار على أنها المفترض أن تهدف بالأساس إلى تحويل نظام الحكم من نظام ملكي مستبد فاسد إلى نظام مدني ديمقراطي، وأن الجيش عليه تحقيق ذلك الأمر وأن يبتعد عن الحكم، وكان داخل مجلس قيادة الثورة أيضاً بعض القيادات تنظر لحركة الضباط الأحرار بنفس نظرة الرئيس نجيب، مثل يوسف صديق وخالد محي الدين، وقد نُكل بهم جميعًا لاحقًا.

- لقد وضع جمال عبد الناصر عام **١٩٥٤ م** هو ومجموعته التي سيطرت على زمام الأمور خطة محكمة، حتى تُدار كل الملفات داخل مصر تحت أعين المؤسسة العسكرية المصرية، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الجيش المصري لاعبًا كبيرًا في الحياة الاقتصادية داخل الدولة المصرية.

تعاقبت فترات الحكم العسكري على الدولة المصرية، وكانت تسير على نفس المنهاج الذي أسسه جمال عبد الناصر، ففي فترة حكم محمد أنور السادات ثم من بعده محمد حسني مبارك، وحتى بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م، والذي أدار المرحلة الانتقالية فيها المجلس العسكري، نرى أن الجيش المصري كان لاعبًا كبيرًا ومؤثراً داخل الدولة المصرية.

---

[١] كتاب «كنت رئيساً لمصر» ص ٩٢، الرابط

ولكن بعد قيام السيسي بالانقلاب العسكري في ٣٠ يوليو ٢٠١٣ م، تغير هذا النهج، وأصبحت قيادات المؤسسة العسكرية الحاكمة تعمل على وضع نهج جديد لإدارة الملف الاقتصادي داخل الدولة المصرية.

فوضع الجيش المصري في الاقتصاد حاليًا، يتلخص في أنه تحول من كونه لاعبًا كبيرًا في الاقتصاد المصري، إلى فاعل مهيمن ومسيطر على الاقتصاد المصري ككل. لقد مر على الانقلاب العسكري لوقتنا هذا ستة أعوام، والمراقب لتعامل قيادات المؤسسة العسكرية مع الملف الاقتصادي يرى أنها تسير على هذه الخطة كي تحقق الهدف الذي وضعته للسيطرة التامة على المشهد الاقتصادي وتكون المهيمنة على الاقتصاد.

فمنذ اللحظة الأولى وطبقًا لخطة الاستحواذ على منظومة الاقتصاد، حددت القيادات العسكرية الحاكمة آليات لتنفيذ ذلك المخطط، بالتركيز أولًا على الكيف وليس الكم، مع اعتبار أن الكم سيأتي في مرحلة الاستحواذ التام، ولكن الكيف والذي يعني المفاصل المؤثرة للاقتصاد المصري هو أولى أولويات المؤسسة العسكرية حالياً في السعي إلى السيطرة.

وبناء عليه نرى الجيش المصري وقد وضع يده على أهم الملفات الاقتصادية داخل الدولة المصرية، وعلى سبيل المثال:

(١) قطاع المقاولات والبنية التحتية.

(٢) قطاع الاتصالات.

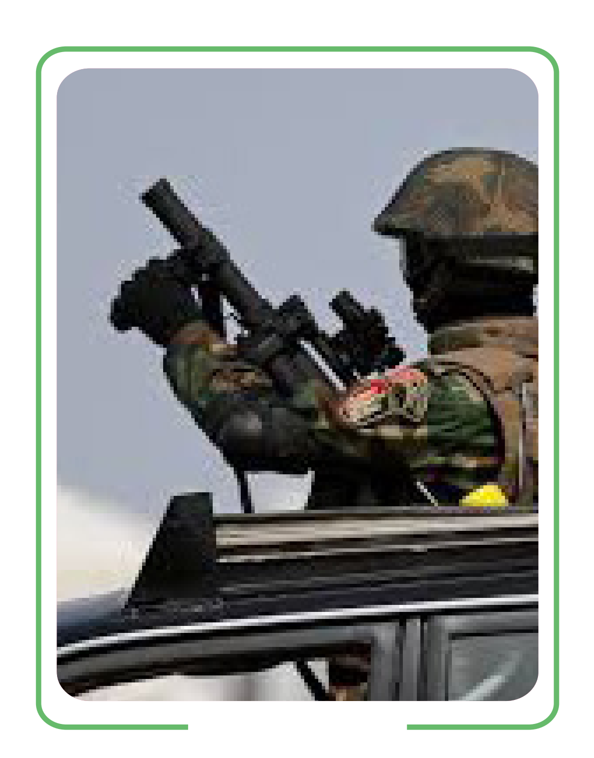
(٣) قطاع الصحة وسوق الأدوية.

(٤) المشروعات القومية.

(٥) القطاع العقاري وعلاقته بالصناعة.

(٦) مجالات الصناعة الكيماوية والتعدين.





(٧) مجال الإنتاج الزراعي والصناعات الغذائية.

(٨) مجال الاستزراع السمكي.

(٩) إنتاج وتجارة اللحوم الحمراء والبيضاء.

(١٠) لبن الأطفال.

(١١) مجال استيراد القمح.

(١٢) السكر.

(١٣) السيطرة على تنفيذ بطاقات التموين.

مؤسسات الجيش الاقتصادية «كيف كانت وكيف أصبحت»[٢]:

الجيش المصري له أكثر من مؤسسة اقتصادية تتبع له، وتلك المؤسسات كانت أنشئت بالأساس لتلبية احتياجات الجيش العسكرية من تسليح ومعدات وما شابه ذلك، ولكن معظم تلك المؤسسات بعد **٣٠ يوليو ٢٠١٣** م، تحول مسارها بشكل كبير، بعد أن أخذت على عاتقها التصنيع العسكري وتقديم الدعم العسكري للجيش، تحولت إلى إنتاج منتجات مدنية بشكل كبير.

ونذكر في السطور التالية بعض المؤسسات الاقتصادية التابعة للجيش المصري:

(١) جهاز مشروعات الخدمة الوطنية: أنشئ الجهاز بقرار من محمد أنور السادات رقم **٣٢** لسنة **١٩٧٩** عقب توقيع اتفاقية كامب ديفيد مع الكيان الصهيوني، ليستهدف الاكتفاء الذاتي النسبي من الاحتياجات الرئيسية للقوات المسلحة لتخفيف أعباء تدبيرها عن كاهل الدولة، مع

[٢] «اقتصاد العسكر» القصة الكاملة لإمبراطورية الجيش المصري.. من حماية الحدود لحماية «البيزنس»، فيلم وثائقي، الرابط

طرح فائض الطاقات الإنتاجية في السوق المحلي والمعاونة في مشروعات التنمية الاقتصادية في الدولة من خلال قاعدة صناعية إنتاجية متطورة. إلا أن ما يقوم به الجهاز حالياً تعدى ذلك بمراحل، وأصبح يصنع منتجات لمنافسة الشركات المدنية في بعض الصناعات غير العسكرية، وذلك يبعد الجهاز تماماً عن دوره الرئيس.



جهاز مشروعات الخدمة الوطنية تتبع الآن له شركتان تغطيان مجموعة واسعة من القطاعات من البناء والنظافة إلى الزراعة والمنتجات الغذائية، وتضم شركات معروفة منها: كوين سرفيس للخدمات الأمنية، الشركة الوطنية لاستصلاح الأراضي، وشركة مصر للتصنيع الزراعي التي تمتلك ٧ مصانع لإنتاج «صلصة طماطم، منتجات ألبان، أعلاف الماشية والأسماك، البصل المجفف»، وشركة كوين لإنتاج المكرونة، إضافة إلى قطاع الأمن الغذائي الذي يمتلك عدداً كبيراً من المزارع والمجازر للحيوانات والدواجن إضافة إلى وحدات إنتاج الألبان ومجمعات إنتاج البيض وغيرها.

(٢) الهيئة العربية للتصنيع: أنشئت عام **١٩٧٥** بتعاون بين مصر وقطر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، بهدف بناء والإشراف على تطوير قاعدة تصنيع دفاع عسكري مشتركة. في عام **١٩٩٣** ، قامت المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات بإعطاء مصر أسهمها في الهيئة والتي بلغت قيمتها آنذاك **١.٨** مليار دولار، فأصبحت الهيئة مملوكة بالكامل للحكومة

وبناء على ما كشفة معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (سيبري SIBRI) مؤخراً، فإن مصر أصبحت ضمن قائمة الدول الأكثر استيراداً للأسلحة في العالم بين أعوام **٢٠٠٨ - ٢٠١٢ و ٢٠١٣ - ٢٠١٧** . [٣]

تصدر الهيئأة العربية للتصنيع المعدات التي تصنعها إلي جيوش متهالكة وضعيفة من الناحية العسكرية وتحديداً في أفريقيا. وأصبحت المصانع الحربية التابعة للهيئة تركز على تصنيع مواد أساس منزلية بالدرجة الأولى كي تنافس الصناعات المدنية في ذلك المجال.

(٣) الهيئة الهندسية للقوات المسلحة: تحولت الهيئة الهندسية بعد وصول عبد الفتاح السيسي إلى سدة الحكم منتصف **٢٠١٤م**، من كونها إدارة متخصصة بالأعمال الهندسية العسكرية داخل الجيش إلى شركة مقاولات كبرى مهيمنة على السوق، وهذا ما كشف عنه المقاول محمد على في فيديوهاته الأخيرة.[٤]

فالهيئة الهندسية الآن تسيطر عن طريق إدارتها التابعة (الأشغال العسكرية، المساحة العسكرية، المياه، المشروعات الكبرى، المهندسين العسكريين) على تنفيذ وإنشاء شبكات الطرق الحرة والكباري والمطارات والفنادق والمدن العمرانية الجديدة في مختلف محافظات مصر، وعلى العديد

---

[٣] مصر: سياسات التسليح العسكري ٢٠١٨ ، محمود جمال، المعهد المصري للدراسات، الرابط

[٤] محمد على: هل يقود صراع الأجنحة إلى سقوط السيسي؟، محمود جمال، المعهد المصري للدراسات، الرابط

المصرية. يتبع الهيئة العربية للتصنيع ١١ مصنعاً وشركة تعمل في مجالات الصناعات العسكرية والمدنية، منها مصانع صخر وقادر وحلوان للصناعات المتطورة، ومصنع سيماف الذي ينتج عربات السكك الحديدية والقضبان.



يرأس الهيئة العربية للتصنيع حالياً الفريق عبد المنعم التراس «عضو مجلس عسكري على قائمة الاستدعاء»، تتوفر منتجات عسكرية للهيئة العربية للتصنيع حاليًا، ولكن بشكل ضعيف جداً، وتصنع معدات عسكرية ضعيفة ومحدودة الإمكانيات ولم تلبِّ احتياجات الجيش المصري من التصنيع العسكري كما يرى خبراء، والسؤال هنا: هل هذا هو الدور المنوط بتلك الهيئة؟ والتي يُفترض أن مهمتها دعم وتقوية التسليح العسكري المصري الأمر الذي كان يعمل عليه وزير الدفاع الأسبق المشير أبو غزالة؟ الجيش المصري الآن يعتمد على التسليح الخارجي بشكل أساسي وابتعد تماماً عن التسليح العسكري الوطني، ومعلوم أن السلاح الذي يأتي من الخارج يُفقد الدولة استقلالها، ولذلك يحتم على الدولة التي تبحث عن الاستقلالية وألا تكون دولة تابعة أن تمتلك وتصنع سلاحها بنفسها إلى جانب غذاءها ودواءها.

من مشاريع محطات تحلية المياه وحفر الآبار، ومد خطوط المياه إلى المدن والتجمعات العمرانية الجديدة، وتنفيذ الأعمال المساحية وإصدار الخرائط والموسوعات لمعاونة الأجهزة المدنية في تنفيذ المشروعات

العملاقة، فضلًا عن المشاركة في مشروعات التنمية الحضارية والاجتماعية الصحية، بإنشاء وتطوير المدارس والمستشفيات والوحدات الصحية ومراكز التنمية الحضارية، وإقامة المشروعات الزراعية والإنتاجية وصناعة الخامات والمواد الإنشائية المستخدمة في المشروعات، وإنشاء وتطوير الاستادات والملاعب والساحات الرياضية لإقامة البطولات المحلية والدولية. كما تقوم أيضًا بمعاونة القطاع المدني بالتغلب على الآثار الناجمة عن الكوارث الطبيعية والصناعية، وعمليات الإنقاذ والنجدة والتدخل السريع باستخدام أحدث الأجهزة والمعدات المتنوعة والقدرات والإمكانات، وإيواء المتضررين وإزالة الأنقاض والمعاونة في إنشاء معسكرات العزل الصحي.



(٤) الهيئة القومية للإنتاج الحربي: تأسست عام ١٩٨٤ ، بهدف الإشراف على المصانع الحربية، تمتلك الهيئة حالياً أكثر من ١٨ مصنعاً للصناعات العسكرية والمدنية، ولكن تصنيعها حالياً ينحصر في الصناعات المدنية، ومن تلك المصانع «أبو قير - أبو زعبل - شبرا - حلوان» للصناعات الهندسية، إضافة إلى مصنع حلوان للأثاث ومصنع حلوان لمحركات الديزل ومصنع حلوان للصناعات غير الحديدية، وفي الصناعات الكيميائية تمتلك الهيئة مصانع «أبو زعبل وقها وهليوبوليس» وفي الصناعات الإلكترونية هناك مصنع بنها للصناعات الإلكترونية، كما تمتلك الهيئة أسهماً في شركات أخرى مثل «ثروة

البترول» و(إيبيك) العالمية لصناعة المواسير وهي أكبر منتج لأنابيب النفط والغاز في المنطقة، كذا الشركة العالمية لصناعة الكمبيوتر.

(٥) وزارة الإنتاج الحربي: وزارة الإنتاج الحربي المصرية هي الوزارة المسؤولة عن إدارة وتطوير وتشغيل المصانع الحربية في مصر ويتولى رئاستها الآن اللواء محمد سعيد العصار «عضو مجلس عسكري على قائمة الاستدعاء»، ولكن معظم المصانع الحربية التابعة للوزارة اتجهت للتصنيع المدني بشكل كبير وكان آخر تلك المصانع مصنع النجيلة الصناعي الذي أصبح مهيمنًا على ذلك السوق.



فكما قال أحد الساسة مؤخراً في توصيفه لهيمنة الجيش على القطاع الاقتصادي « لقد وصلنا إلى نقطة يتنافسون فيها حتى مع البائعين المتجولين"! وبشكل عام فإن أي عمل اقتصادي يقوم به الجيش مرتبط ارتباطًا كليًا بعقيدة ومنهج الجيش، فإذا تخلى الجيش عن الدور المنوط به وتغيرت عقيدته الوطنية يحدث تحولاً كبيراً في كافة أنشطته.

فعند النظر إلي كافة المؤسسات الاقتصادية التي يرتكز إليها الجيش حالياً في نشاطه الاقتصادي، نجد أنها كانت تهدف بالأساس إلي امتلاك وتصنيع السلاح ومعاونة الجيش في تنفيذ مهامه، وظلت تلك المؤسسات حتى بعد اتفاقية كامب ديفيد على قدر جيد من التصنيع وملبية لاحتياجات الجيش اللوجستية، ولكن بعد يوليو **٢٠١٣** م، تغيرت عقيدة ومنهج الجيش المصري في مستوياتها الثلاث الأساسية والبيئية والتنظيمية، وأصبح العدو التاريخي للجيش والدولة المصرية ليس الكيان الصهيوني؛ بل أصبح «الإرهاب» و (الإسلام السياسي) هما العدو[٥]، وأصبح الانتشار العسكري غير مرتكز ناحية الشرق بل أصبح متكتلًا في وسط العاصمة وناحية الغرب.[٦]

لقد أصبح التصنيع العسكري غير ضروري للنظام العسكري الحالي؛ لأن الدولة المصرية المتمثلة في نظامها العسكري كما يرى البعض دولة تابعة لا تسعي نحو الاستقلالية، وأهم ما يميز الدول التابعة استيراد السلاح وليس تصنيعه، وأصبحت السيطرة على الحياة الاقتصادية من أولويات ذلك النظام، لتحويل وضعية الجيش المصري من لاعب كبير إلي فاعل مهيمن ومسيطر على كافة النواحي، ولذلك حوّل كافة مؤسساته الاقتصادية للتصنيع المدني.

ختاماً:

إن تحول الجيش المصري من كونه لاعبًا رئيسًا إلى فاعل مهيمن ومسيطر، يعني أنه يسير نحو السيطرة التامة على كافة الجوانب الاقتصادية، وبالتالي من يظن أن الجيش يركز على ملفات دون أخري فهو في الأغلب خاطئ، لأنه يمشي نحو الكيف أولاً ولكن الكم أيضًا سيأتي ويستحوذ عليه في الفترات القادمة. لذلك فإن المستثمرين الأجانب ورجال الأعمال المصريين حتى المؤيدين منهم لسياسات ذلك النظام، والذين يظنون أن أعمالهم في منأى عن سيطرة الجيش على كافة الحياة الاقتصادية واهمون، فهيمنة المؤسسة العسكرية على القطاع الاقتصادي ستلحق الضرر بالجميع.

---

[٥] الجيش المصري وإسرائيل: تحولات العقيدة، محمود جمال، المعهد المصري للدراسات، الرابط
[٦] الجيش المصري: التكوين وخرائط الانتشار، الرابط



أصول العلاقات الأمريكية التركية الجديدة

جورج فريدمان - 14 أكتوبر 2019 [1]

ترجمة: أسامة خالد

هناك تحولٌ كبير يطرأ على الاستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط منذ عدة سنوات، إذ سعت واشنطن باستمرار إلى تجنُّب القتال. والولايات المتحدة مضطرة الآن إلى البحث عن توافق مع تركيا - التي تُعد قوة إقليمية في حد ذاتها. توافق مبني على شروط ضرورية لكليهما من الناحية الجيوسياسية. كانت علاقتهما مضطربة، وعلى الرغم من أنها قد تستمر كما هي لفترة، إلا أنها ستنهار. لا علاقة لذلك التوافق بالمودة المتبادلة بل بكونه ضرورة متبادلة. وإن التوغل التركي في سوريا والرد الأمريكي جزءُ من هذا التوافق، الذي له أصول عالمية وعواقب إقليمية.

مصدر المقال المترجَم: geopoliticalfutures.com/the-origins-of-new-us-turkish-relations

وبالمثل، فإن قرار الولايات المتحدة بالتنحي جانباً مع قيام تركيا بعملية توغل شمال شرق سوريا له أصل جيوسياسي واستراتيجي؛ فالأصل الاستراتيجي هو الصدام بين عناصر وزارة الدفاع الأمريكية والرئيس الأمريكي. أخذت أجهزة الدفاع شكلها الحالي من خلال حربها الجارية منذ عام ٢٠٠١.

وأثناء ما يسمى "الحرب الطويلة"، أنشأت الولايات المتحدة بُنية لتحالفٍ من مجموعات وطنية ومجموعات وطنية فرعية متنوعة. ومع ذلك، ما تزال المنطقة قائمة على أساس غير متوازن. فقد وسع الإيرانيون مجال نفوذهم غرباً، والعراق في حالة فوضى، ولا تزال الحرب الأهلية اليمنية محتدمة، وقد انتهت الحرب السورية الأساسية بشكل غير حاسم، وبطريقةٍ شرق أوسطية إلى حد كبير.

إن جيلاً مـن مفكـري العسكرة والدفاع قـد نضجوا فـي خوضهم الحروب في الشرق الأوسط. وكانت "الحرب الطويلة" مسيرة مهنية بالنسبة لهم. أمضت عدة أجيال حياتها المهنية تتوقع أن تندفع الدبابات السوفيتية إلى "فجوة فولدا". واعتقد محاربو الحرب الباردة أن عالَماً لا تكون الحرب الباردة جزءاً منه.. لا يمكن تصوره. ويمكن قول الشيء ذاته بالنسبة لأولئك الذين أنشأتهم حروب الشرق الأوسط. كان حلف الناتو بالنسبة لجيل الحرب الباردة أساس تفكيرهم، وكذلك أيضاً بالنسبة لجيل "صندوق الرمال" [العراق وأفغانستان]، أولئك الذين قضوا حياتهم المهنية في العمل بالتناوب في العراق أو أفغانستان أو في أي مكان آخر، فإن التحالفات التي تشكلت والأعداء الذين قاتلوهم كانت تبدو أمراً أزلياً. فكرة أن العالم قد تقدم وأن لـ"فولدا" ولحلف الناتو أهمية أقل مما مضى.. كانت فكرة لا يمكن تصورها عاطفياً. وعُد أي تحوُّل في التركيز وفي بُنْيَة التحالف بمثابة خيانة.

بعد انتهاء الحرب الباردة، اتخذ جورج هربرت ووكر بوش قراراً بالانسحاب من عمليات النشر الجوية لقاذفات بي٥٢- الجارية على مدار ٢٤ ساعة في الشمال، والتي كانت تنتظر الهجوم السوفيتي. لقد تغير الواقع، واتخذ بوش القرار بعد عام من بدء انهيار أوروبا الشرقية. لقد اتخذ ذلك القرار في ٢١ سبتمبر ١٩٩١، بعد سقوط

الجدار ولكن قبل انهيار الاتحاد السوفيتي، لقد كان قراراً مثيراً للجدل. كنت أعرف بعض الأشخاص الجادين الذين اعتقدوا أننا يجب أن نقبل احتمال أن الانهيار في أوروبا الشرقية كان مجرد غطاء لهجوم سوفييتي، وكان أولئك الأشخاص منزعجين للغاية من سحب قاذفات بي ٥٢ .

من الصعب قبول أن حقبة ما قد أصبحت من التاريخ. أولئك الذين أنشأتهم تلك الحقبة، يتشبثون من خلال مزيج من الجزع والحنين إلى الأشياء التي يتردد صداها في أذهانهم. تحدَّث البعض (وإن لم يكونوا أوروبيين) عن خيانة لأوروبا، وآخرون كانوا يشعرون بالأسف الشديد لأن الأسلحة التي عملوا بجد لإتقان استخدامها وأن الاستراتيجيات والتكتيكات التي تُوصل إليها على مدى عقود.. لن تُجرَّب أبداً.

وقد حدث الشيء نفسه بطرق مختلفة في الشرق الأوسط، نشر القوات لما يقرب من ٢٠ عاماً صاغ أنماطاً سلوكية وتوقعات والتزامات ليس فقط بين الأفراد ولكن بشكل مؤسسي أكبر في كافة القوات المسلحة، ولكن المهمة تغيرت. في الوقت الحالي، ضعُف تنظيم الدولة الإسلامية إلى حد كبير، وكذلك تنظيم القاعدة. وانتهت الثورة السنية في العراق، وحتى الحرب الأهلية السورية حالها ليس كما كان من قبل. الحرب ضد إيران لم تبدأ، وقد لا تقع على الإطلاق، ولن تشبه الحروب التي خِيضت في المنطقة إلى الآن.

هذا يُحدِث حتما إعادة تقييمٍ إستراتيجيةٍ تبدأ بقبول أن الحقبة السابقة قد ولَّت. كان من الموجع التحول من الحرب العالمية الثانية إلى الحرب الباردة، ومن الحرب الباردة إلى عالم يعتقد الكثيرون أنه قد تخطى مسألة الحرب، ومن ثم اكتشاف أن الحرب قد توقفت مؤقتاً وقد استؤنفت الآن. تدّعي الحرب والاستراتيجية أنهما منعزلتان بهدوء عن الأمر، لكنهما مهمتان عاطفيتان لا تؤديان إلى التغيير الجوهري حالاً. ولكن بعد ثمانية عشر عاماً من الحرب، هناك شيئان أصبحا واضحين: الأول هو أن الهدف المتواضع المتمثل في شل حركة الإرهاب قد تحقق، والثاني هو أن الهدف الأساسي المتمثل في إيجاد شيءٍ يتناول مسألة الديمقراطيات الليبرالية لم يكن ممكناً على الإطلاق.

الثبات

لقد تغير العالم بشكل كبير منذ عام ٢٠٠١. برزت الصين كقوة كبرى، وأصبحت روسيا أكثر فاعلية. أصبحت إيران - وليس الجهاديين السنة - تشكل التحدي الرئيسي في الشرق الأوسط. وقد تغيرت بنية التحالفات اللازمة للتعامل مع ذلك تغيراً جذرياً منذ عمليتَي "عاصفة الصحراء" و"حرية العراق". بالإضافة إلى ذلك، فقد تغيرت التحالفات بالنسبة للقدرة. لم يعد هناك نشرٌ للقوات بشكل مكثف في الشرق الأوسط، إلا أن بعض القوات ما زالت هناك، وبالنسبة لقسم من الجيش الأمريكي، تظل الحرب ضد الجهاديين في صلب تفكيرهم. وما تزال التحالفات التي نشأت على مدار الأعوام الثمانية عشر الماضية بالنسبة لهم مهمة كما كان سلاح الجو البلجيكي خلال الحرب الباردة.

هناك قسم آخر تزداد قوته في الولايات المتحدة، يعد الشرق الأوسط أمرًا ذا أهمية ثانوية، ويُدرج إيران في هذا الاعتبار في كثير من الحالات. يرى هذا القسم الصين أو روسيا (أو كليهما) المنافسين الأساسيين للولايات المتحدة، ويرى أعضاء هذا القسم أن الشرق الأوسط يمثل انحرافاً للمسار بلا طائل وأنه استنزافٌ للموارد الأمريكية.

كـــان إنهـــاء النـــزاع أمراً بالغ الأهمية بالنسبة لهم. والذين صنعوا مسيرتهم المهنية في هذه الحرب وتحالفاتها يشعرون بالفَزَع. كانت وجهة نظر الرئيس دونالد ترامب ثابتة. بشكل عام، هو اعتقد أن استخدام القوة العسكرية في أي مكان يجب أن يكون استثناءً وليس قاعدة. رَفَضَ بدء القتال في كوريا الشمالية، ولم يهاجم إيران بعد إسقاطها طائرة أمريكية مُسيَّرة أو بعد استيلائها على ناقلات نفط في مضيق هرمز. بعد الهجوم على منشأة النفط السعودية، زاد من الدفاعات الجوية السعودية لكنه رفض القيام بهجمات ضد الإيرانيين.

بالنظـــر إلـــى التحول في الاستراتيجية الأمريكية، تَبرُز ثلاث مهام. الأولى هي احتواء الصين. والثانية هي احتواء روسيا. والثالثة هي احتواء إيران. فيما يتعلق بالصين، فإن بنية التحالف الذي تحتاجه الولايات المتحدة هي في المقام الأول مجوعة الجُزُر التي تمتد من اليابان إلى إندونيسيا وسنغافورة، ويشمل ذلك كوريا الجنوبية. في التعامل مع روسيا، هناك مصلحتان: إحداها السهل الأوروبي الشمالي والأخرى هي البحر الأسود. بولندا هي الحليف الأمريكي في الشمال، ورومانيا في الجنوب. لكن إدراج تركيا في هذا الإطار من شأنه أن يعزز الإطار المعادي لروسيا. بالإضافة إلى ذلك، فإنه سيوفر قوةً كبيرة مقاومة للتوسع الإيراني.

أهميــة تركيــا واضحـة. ويطلب وِدَّها كل من روسيا وإيران. وتركيا ليست الآن كما كانت عليه قبل عقد من الزمن. نمى اقتصادها بسرعة ثم مرَّ بعد ذلك بأزمة. تجاوزت محاولةَ انقلابٍ، وكان الضغط الداخلي هائلاً. لكن هذا النوع من الأزمات شائع في القوى الناشئة. خاضت الولايات المتحدة حرباً أهلية في ستينيات القرن التاسع عشر، ولكن بحلول عام ١٩٠٠ كانت تنتج نصف السلع المصنعة في العالم، بينما تفخر بأسطول بحري هو الثاني بعد البريطاني. الأزمات الداخلية لا تعني بالضرورة التدهور الوطني. بل قد تعني ظهوراً استراتيجياً.

إن انحياز تركيا إلى جانب إيران وروسيا متوتر دائماً. وشنت إيران وروسيا في أوقات مختلفة حرباً مع تركيا، وكانتا دائمًا تنظران إلى العراق كمصدر تهديد. في الوقت الحالي، لدى كل منهما مصالح أخرى، وتركيا مستعدة للعمل معهما. لكن واعية تماماً للتاريخ. كما أنها تعي أن الولايات المتحدة ضمِنَت السيادة التركية في مواجهة التهديدات السوفيتية في الحرب الباردة، وأن الولايات المتحدة - على عكس روسيا وإيران - ليس لديها طموحات أو احتياجات إقليمية في تركيا. وكَوْن الولايات المتحدة متحالفة مسبقاً مع تركيا من خلال حلف الناتو ومن خلال العلاقات الثنائية التاريخية، فإن العلاقة مع تركيا تصب في مصلحة الولايات المتحدة لأنها تخلق كياناً يهدد الممر الإيراني إلى البحر الأبيض المتوسط، وتكمِّل التحالف الروماني الأمريكي في منطقة البحر الأسود. الولايات المتحدة وتركيا أيضاً تعاديان الحكومة السورية. بالنسبة لتركيا - على المدى الطويل - لا يمكن التنبؤ بما ستفعله روسيا وإيران، ويمكنهما تهديد تركيا عندما تعملان معاً. ومصلحة الولايات المتحدة في كون تركيا مستقلة وتعيق روسيا وإيران تتوافق مع المصالح التركية طويلة الأمد.

هنا يدخل الأكراد إلى المعادلة. الجزء الشرقي من تركيا سكانه أكراد، والحفاظ على الاستقرار هناك ضرورة جيوسياسية لأنقرة. نفذت عناصر من أكراد تركيا ممن يتجمعون حول حزب العمال الكردستاني (PKK) هجمات مسلحة. لذلك من مصلحة تركيا تطهير حدودها المباشرة من أي تهديد كردي. وليس للولايات المتحدة مصلحة كبرى في القيام بذلك، وكانت قد عملت بالفعل مع الأكراد في العراق وسوريا. لكن بالنسبة للأتراك، فإن وجود الأكراد على حدودهم يشكل تهديداً لا يمكن التنبؤ به. الاعتماد الأمريكي على الأكراد يتراجع مع تراجع المشاركة الأمريكية في الشرق الأوسط. وتصبح تركيا مهمة أكثر من الأكراد بكثير لدى الولايات المتحدة فيما يخص إيران.

"يشعر ترامب بوضوح أن الحروب في الشرق الأوسط يجب أن تتوقف تدريجياً، وأن العلاقة مع تركيا أمر بالغ الأهمية. القسم الذي ما يزال يركز على الشرق الأوسط يعد هذا خيانةً جوهرية للأكراد. السياسة الخارجية عملية قاسية وغير عاطفية. الأكراد يريدون إقامة دولة كردية، والولايات المتحدة لا تستطيع ولا تريد تأييد ذلك، قد تشارك الولايات المتحدة أحياناً في تحالف مع الأكراد فيه منفعة متبادلة لتحقيق أهداف مشتركة معينة. ولكن بغض النظر عن المشاعر، لدى الولايات المتحدة مصالح جيوسياسية تتضمن أحياناً الأكراد، وأحياناً لا تتضمنهم - ويمكن قول الشيء نفسه عن الأكراد."

في الوقت الحالي، القضية ليست تنظيم القاعدة، بل الصين وروسيا، وتركيا لها أهمية بالغة بالنسبة للولايات المتحدة فيما يتعلق بموضوع روسيا. والولايات المتحدة لها أهمية بالغة بالنسبة لتركيا أيضاً، لكنها لا يمكن ببساطة أن ترتمي بين ذراعي أمريكا. لقد زادت قوتها إلى حدٍّ كبير في المنطقة لتفعل مثل ذلك، ولديها الوقت الكافي للتصرف بالشكل الملائم. لذا فإن إجراءات ترامب فيما يتعلق بالحدود السورية ستكون نتيجتها في زيارة الرئيس رجب طيب أردوغان لواشنطن، وفي إعادة تنظيمٍ في المنطقة في الوقت المناسب بين القوَّة العالمية والقوة الإقليمية.



مادة حصرية

مذكرات الشيخ رفاعي طه (٢٠)

من مؤسسي الجماعة الإسلامية المصرية

سجلها عنه وحررها:
محمد إلهامي

السادات لم يدعم التيار الإسلامي ولم يتسامح معه وأرسل نائبه مبارك لكي لا يذهب منصب رئيس الاتحاد لشاب ملتح

- قصة الفوز بأول انتخابات لاتحاد الطلاب، وكانت فكرتي التركيز على الأطراف
- تصرفنا في أموال اتحاد الطلاب لمصلحة الطلاب مما أكسبنا ثقتهم وتقديرهم!
- نظمنا الرحلات الدينية بدل الرحلات المختلطة، ونظمنا رحلات لزيارة المقابر!

لمطالعة الحلقات السابقة اضغط هنا

وصفتُ في الحلقات السابقة كيف تطورت العلاقة بين الجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين في جامعة أسيوط حتى الانفصال وبعض العداء، لقد كان هذا هو المشهد الداخلي بين الشباب الإسلامي، وهو مشهد حزين مؤسف، وأما المشهد الخارجي الدعوي فهو مشهد مشرق.

في ذلك العام (**١٩٧٨م**) كان أول فوزنا بانتخابات اتحاد الطلاب.. وما أدراك ما اتحاد الطلاب؟!

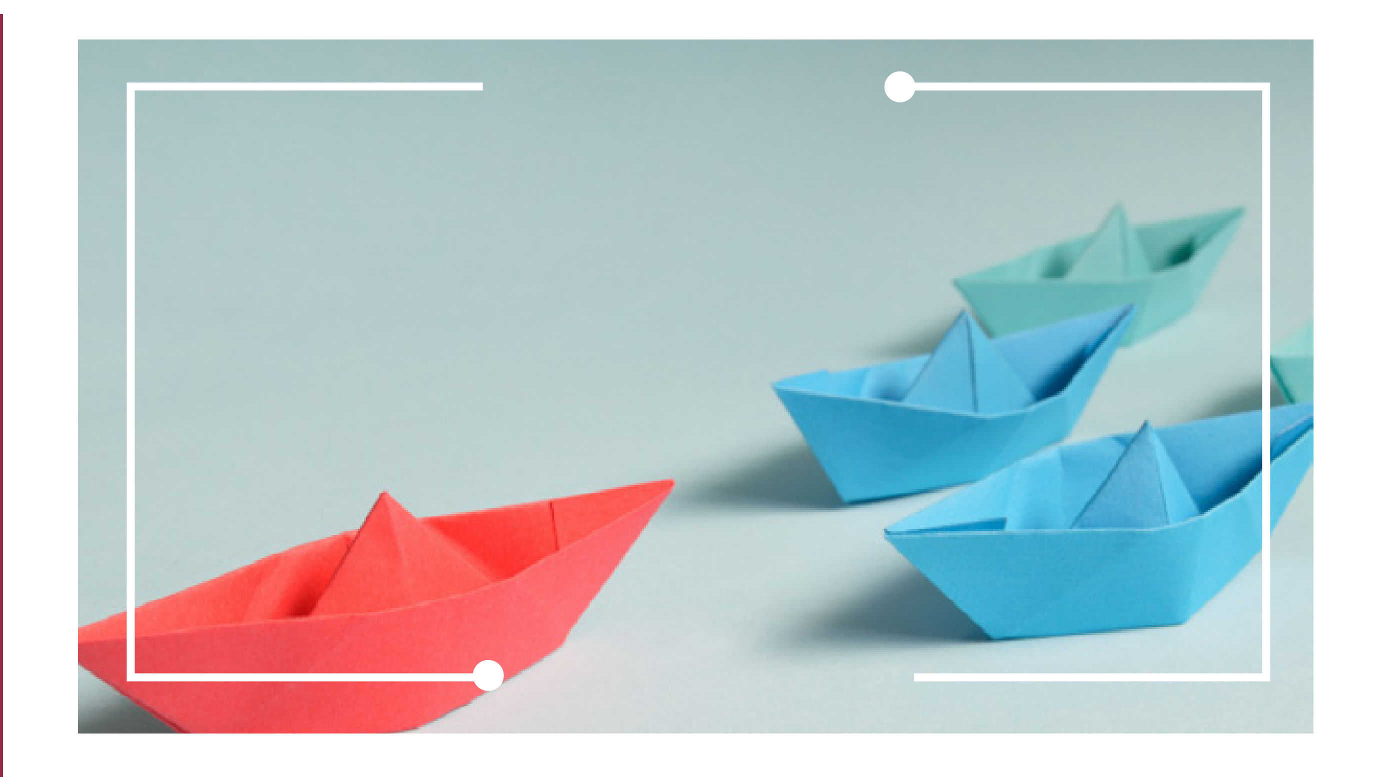
في ذلك الوقت كان «اتحاد الطلاب» قوة حقيقية، وكانت اللائحة الجامعية تجعل منه كيانًا قويًا وتحت يده مقدرات وافرة، وأتذكر أن ميزانية اتحاد الطلاب في السنة التي تولى فيها عادل أسعد الخياط بلغت ثلاثين ألف جنيه، وهذا في زمن السبعينات مبلغ ضخم. وهذا المبلغ لا يمكن صرفه إلا بتوقيع رئيس اتحاد الطلاب نفسه، ولا يملك أي أستاذ جامعي أن يصرفه، وكان للاتحاد شرعية التعبير عن الطلاب، وفي إمكانه استعمال واستثمار مقدرات عديدة في الأنشطة الطلابية.. وباختصار، فإن التيار الذي سيفوز بانتخابات اتحاد الطلاب قادر على التأثير في مجتمع شباب الجامعة تأثيرًا قويًا.

يبدأ الطلاب الذين يريدون الترشح على قائمة اتحاد الطلاب بتجهيز أنفسهم منذ الشهر الأول في العام الدراسي، شهر أكتوبر، يجهزون بعض الأوراق على المستوى الرسمي لتقديمها إلى لجنة «البتّ» أو لجنة الفحص، وهي لجنة من موظفي الجامعة تفحص الأوراق من جهة تحقق بعض الشروط كألّا يكون الطالب متهمًا بسلوك مشين أو نحو ذلك، ولكن اللجنة كانت من وسائل السلطة في استبعاد الطلاب الذين تراهم مزعجين، فربما تقدَّم لها ثلاثون أو أربعون، لكنها لا تجيز منهم إلا عشرة فقط.

لهذا كنا ندخل إلى اللجنة بكامل ثقلنا، فمهما استبعدوا من الأسماء يبقَ من المُجَازِين من هو منا، وفيما بعد صارت هذه اللجنة لا تجيز إلا من اطمأنت إليهم السلطة أو كانوا من عملاء الأمن بين الطلبة.

انبثقت الفكرة من الشيخ صلاح هاشم، سأل: لماذا نحن كجماعة إسلامية لا ندخل انتخابات اتحاد الطلاب؟ إننا نستطيع الفوز فيه؟

ووجد السؤال موقعه في نفوسنا: لماذا لا نفعل؟ هذا الاتحاد يستولي عليه طلاب من التيار اليساري، أو (شِلل) منتفعة لا لزوم لها، فكرة ممتازة.. ولكن، هذا الأمر جديد علينا، فكيف نفعله ونفوز؟ أول ما فكرنا فيه: من هو المرشح المناسب؟



اقترح صلاح هاشم أن يكون مرشحنا عادل أسعد خياط، شاب متدين، من أسرة كبيرة من مركز إخميم في محافظة سوهاج، ذو مال من أسرة تعمل بالتجارة، يستطيع أن يقوم بعبء الترشح والحملة الانتخابية البسيطة، ونحن من ورائه عصبة ودعمًا وسندًا. وكان صلاح هاشم بمثابة الأب الروحي أو الأخ الأكبر له، ولم يكن لعادل توجه إسلامي محدد، إنما هو شاب متدين عمومًا.

واستفدتُ من خبرتي القديمة في اتحاد الطلاب، فلقد كنت فيه ضمن الأنشطة التي صنعتها منفردًا كما سبق الذكر، فألقيتُ فكرة مهمة كانت هي السرّ في الفوز..

في ذلك الوقت كانت جامعة أسيوط هي الجامعة الوحيدة في جنوب الصعيد، فكانت لها فروع في محافظات سوهاج وقنا وأسوان، في كل هذه المحافظات كان ثمة كليات تابعة لجامعة أسيوط، وهذه الكليات هي التي كان نواة جامعات المحافظات فيما بعد: جامعة سوهاج وجامعة جنوب الوادي وجامعة أسوان، فكانت الفكرة كالآتي، قلت لهم: إن الطالب المنافس (واسمه

القرشي) يعتمد على الأصوات في جامعة أسيوط نفسها، فلنفعل بالخطوة التي لن ينتبه إليها أحد، لنركز اهتمامنا على كليات الفروع في سوهاج والمنيا وأسوان، هذه الكليات لا يُنْتَبَه لها عادة، فإذا كسبنا اتحاد الطلاب في هذه الكليات فقد قطعنا نصف الطريق أو أكثر منه نحو اتحاد طلاب الجامعة، ولن يبقى لنا إلا الفوز بكلية أو اثنتين من كليات جامعة أسيوط نفسها.. والواقع أنه يجب علينا أن نبدأ في هذا من الآن.

استحسن الإخـوة هــذه الفكــرة، وتواصـوا بالكتمان، وحذروا أن تتسرب، ثم بدؤوا الحركة في هذه الكليات الفرعية، وانتدبنا لهذه المهمة إخوة بأعيانهم، كانوا تابعين لنا في هذه الكليات، ليترشحوا ويفوزوا، وقد نجحت الخطة فعلًا، وفاز كل مرشحينا في سوهاج وقنا وأسوان، ففي كل هذه الكليات حزنا منصب رئيس اتحاد طلاب الكلية ونائبه، وهكذا حسمنا الموقف:

كان مجلس الجامعة يتكون من عشرين مقعدًا تعبر عن عشر كليات، لكل كلية مقعدان: رئيس اتحاد طلاب الكلية ونائبه، فكان فوزنا في سوهاج وقنا وأسوان قد ضمن لنا أربعة عشر مقعدًا عن سبع كليات تتوزع في هذه المحافظات.

لـم يحـز منافسنا على صوت واحد من خارج أسيوط، وهكذا كان الفوز مضمونًا، وصار عادل أسعد الخياط رئيس الاتحاد!

هذا الفوز كان فوزًا إسلاميًا عامًا، لقد كنا في هذه المرحلة مع الإخوان في كيان واحد، لم يكن قد وقع الانشقاق بيننا ساعتها، وأتذكر المجهود العظيم الذي بذله شباب الإخوان أيضًا، بل والمجهود الكبير الذي بذله الدكتور محمد حبيب، وكان في ذلك الوقت أستاذًا بكلية العلوم، وكان شخصية بارزة وتربوية وتوجيهية مرموقة، ونحن كنا نحبه ونُكبره وننجذب إليه، وكانت جولاته وحديثه مع الطلبة من أكثر ما يؤثر فيهم ويجذبهم لانتخاب شباب الجماعة الإسلامية.



وقد حاول د. حبيب فيما بعد أن يجعل مؤسسة اتحاد الطلبة محايدة تخدم الاتجاهين (خصوصًا بعد وقوع الانشقاق بين الإخوان والجماعة الإسلامية)، ولكن ما كان هذا ممكنا، لقد كان عادل أسعد الخياط رئيس الاتحاد من شباب الجماعة الإسلامية، فكان الاتحاد تابعًا لنا. ويمكن القول بأن موقف عادل أسعد الخياط قد أسهم بشكل كبير في بروز الجماعة الإسلامية.

استمر عادل رئيسًا لاتحاد طلاب الجامعة إلى أن صدر قرار السادات في السنة التي تليها (١٩٧٨/ ١٩٧٩) بحل اتحاد الطلاب، وهذا كان أول قرار يتخذه السادات في حل اتحادات الطلاب على مستوى مصر كلها، وهذا يدحض المقولة الرائجة الشائعة بأن السادات دعم التيار الإسلامي أو أفسح له لمواجهة التيار اليساري، هذه مقولة غير صحيحة بالمرة.

لم يكن السادات داعمًا للتيار الإسلامي ولا حتى متسامحًا معه، لقد أرسل السادات نائبه حسني مبارك إلى جامعة عين شمس ليجتمع باتحاد الطلاب في الجامعة لكي يفرض عليهم ألا يترشح طالب ملتحٍ على رأس الاتحاد! تأمل كيف يهتم رئيس الدولة بإرسال نائبه ليفرض على الطلاب ألا يأتي متدين لمنصب رئيس اتحاد الطلاب في جامعة!

ومع ذلك كسر الطلاب هذه المعادلة، وحاز الشباب الإسلامي على اتحاد الطلاب، كان الجميع ساعتها يُسَمَّى «الجماعة الإسلامية» رغم أنهم لم يكونوا جماعة واحدة، بل كان الإخوان هم الأقوى في القاهرة وعين شمس، وكان السلفيون هم الأقوى في الإسكندرية، ونحن كاتجاه مستقل كنا الأقوى في أسيوط والصعيد. لكن المشهد الإسلامي العام أمام الدولة كان مشهدًا واحدًا تعبر عنه لافتة واحدة هي «الجماعة الإسلامية».

الواقع أن السادات دخل صراعًا مبكرًا مع الحركة الإسلامية، وهو من ابتدأ هذا الصراع، وكان جذريًا فيه إلى حد مطاردة الإسلاميين لمنعهم منصب رئيس اتحاد الطلاب!

نعود للاتحاد..

كان أهم إنجازاتنا في الاتحاد أن أحسنا استثمار الميزانية الكبيرة التي كانت تذهب إلى الجيوب ويوزعها النافذون فيما بينهم، أتذكر من بين هذه الأموال منحة تسمى «منحة البكالوريوس»، وقد كانت تعطى لأبناء الطبقات الغنية ينظمون بها رحلات إلى المصايف، وربما أنفق في الرحلة ألف جنيه أو عشرة آلاف جنيه (وهذا مبلغ كبير في ذلك الزمن). فأما حين تولينا شأن الاتحاد فقد ألغي هذا كله، وشرعنا في تنظيم رحلات دينية بالحافلات.

لقد اكتسبنا ثقة الطلاب بحسن تصرفنا في هذه الأموال، لأول مرة يرى الطلاب «الكتاب المجاني»، لقد اقتطعنا من ميزانية الاتحاد ما نوزع به الكتب على الطلاب الفقراء، كذلك أحضرنا الأزياء الإسلامية لمن تريد أن ترتدي الزي الإسلامي، وزَّعنا إعانات مالية للطلاب الفقراء، دفعنا إيجارات للعاجزين عن دفع الإيجارات من الطلاب الذين قدموا من سوهاج وقنا وأسوان، أخرجنا الطلاب في رحلات مجانية من خلال الحافلات التي يملكها الاتحادات..



وكان من بين هذه الرحلات، رحلات لزيارة المقابر! وزيارة المقابر معنى ديني معروف، أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم لترقيق القلوب، ولكنه كان رؤية جديدة لمسألة الرحلات.

ولقد تبنى اتحاد الطلاب مواقف سياسية مخالفة لرئيس الدولة، وبالذات في مسألة اتفاقية كامب ديفيد، وكانت هذه المرة الأولى، إذ يفترض أن هذا الاتحاد مؤسسة تابعة للدولة، لكن الاتحاد عبر عن الشباب والطلاب ولم يكن يعبر عن الدولة.

وعلى هذا الوضع انتهت هذه السنة، نجاح في المشهد الإسلامي العام، وانقسام في المشهد الإسلامي الداخلي، عادل أسعد الخياط هو رئيس اتحاد طلاب الجامعة، وناجح إبراهيم هو أمير الجماعة الإسلامية بالجامعة.. ودخلنا إلى الصيف.

كان صيف العام ١٩٧٨ عامرًا بالنشاط الدعوي في كل محافظات مصر، حين أنهينا الدراسة الجامعية هذه السنة بدأ نشاط الدعوة، كانت حافلات (أوتوبيسات) اتحاد الطلاب تحت تصرفنا، فكنا نجول بها مصر ذهابًا وإيابًا في نشاطات ومعسكرات ومحاضرات مختلفة. وكان طلاب الكليات في سوهاج وقنا وأسوان ضمن المجال الطبيعي لعملنا كاتحاد لطلاب جامعة أسيوط، وخدمة هؤلاء الطلاب من صميم نشاطنا.

في ذلك الصيف نظَّمنا ثلاثة معسكرات للطلاب، واحد في سوهاج، وواحد في الجيزة، وواحد في أسوان، وفي كل معسكر يحضر الطلاب من هذه الكليات أو حتى من خارجها، من داخل الجماعة الإسلامية أو من غيرها، إن المسألة وإن كانت نشاطًا طلابيًا في صميمها إلا أن لها آثارًا اجتماعية تتجاوز شريحة الطلاب كلها.

وبهذه المناسبة، أقول: إن طلاب الكليات كانوا يشاركون في انتخابات اتحاد الطلاب، لكن نظامنا الداخلي كجماعة إسلامية لم يكن بالانتخاب، وإنما هو أقرب إلى نظام «أهل الحل والعقد»، هذا مع انتشار الجماعة في الكليات وفروعها. في ذلك الوقت كانت الطيبة والصدق والصفاء هو الغالب على الشباب، يجتمع «الإخوة الكبار» -وهو مصطلح يعني السابقين من الطلاب في العمل الدعوي وتأسيسه والقدامى الذين عملوا به في صفوف الطلاب- فيختارون من بينهم من يرونه الأصلح للإمارة في الجامعة ثم الأصلح لإمارة بقية الكليات.

وقد كانت العادة أن هذا الذي يُختار لهذا الموقع يدفعها عن نفسه ويرفضها بصدق وينكر ذاته على الحقيقة، ويجتهد ليصرفها إلى غيره ثم يجتهد إخوانه ليحملوه عليها، كان التدين الحقيقي موجودًا في ذلك الوقت، لم يكن ثمة تنافس أو تنازع أو تسابق على المسؤوليات كالذي نراه الآن. وكنا في هذا الوقت نُوَلِّي من نحسبه على خير، ومن نتوسم فيه الفهم، فهم الدين، وقد كان فهم الدين رقراقًا راقيًا صافيًا، لم يكن الأمر مثل ما هو الآن!

نعود لشأن الرحلات.

كان أول ما تتميز به رحلاتنا أن كانت غير مختلطة، رحلات للشباب ورحلات للفتيات، وكان اهتمامها التثقيفي الديني هو الطاغي عليها، نطلب مشاهير المشايخ والدعاة والعلماء لإلقاء المحاضرات، وننظم توزعهم بين المعسكرات. لم يكن ثمة نشاط رياضي أو إعداد بدني بخلاف الطوابير الرياضية العادية، لقد نسيت بالفعل الحلم القديم: حلم الانقلاب العسكري، جرت في النهر مياه كثيرة، واندمجت في الجماعات الدعوية تمامًا: مجموعة الشيخ السماوي ثم الجماعة الإسلامية.. ثم عرفت فيما بعد أنه لم تكن ثمة رؤية موحدة أصلًا.



لقد كنا نعمل بالدافع الإسلامي الدعوي العام والبسيط، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحرص على نشر الدين وعلى أن يشيع الالتزام به بين المسلمين، كانت مظاهر اللحية والحجاب والنقاب هي ذاتها مظاهر النجاح، وقد كانت تنتشر باضطراد.. سنكتشف فيما بعد، حين تتحول الجماعة الإسلامية إلى تنظيم مع محمد عبد السلام فرج أننا طوال عملنا الدعوي النشيط الحافل هذا لم نفكر ماذا نريد أن نفعل؟!

كان الكل يعمل حسب طريقته وأفكاره، في سحابة عامة غامضة من التصورات والرؤى، تشغلنا المهمات اليومية والأمور التشغيلية وترتيب شأن المعسكرات والندوات والمحاضرات والخطب ونحو ذلك عن أن نجعل لكل هذا هدفًا نهائيًا نصل إليه، لم نجلس مرة لنسأل أنفسنا: ماذا ينبغي أن نفعل بهؤلاء الشباب، ولا حتى بسؤال كيف ينبغي أن يفعل هذا الشباب حين يتدينون في واقعهم الذي يصادم هذا الدين؟!

نحن نعرف وبشكل نظري أن الواقع يجب أن يتغير، ونقوم بالدعوة إلى الله، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، نقسم الحكام القائمين كلٌّ حسب وصفه، نرى أن هذا كله هو أول الطريق إلى إقامة دولة الإسلام.. لكن كيف؟!.. لا توجد خطوات عملية، لا يوجد تصور كيف سنصل إلى الدولة الإسلامية ولا كيف سنبلغ مرحلة الخلافة، ولا كيف سنزيل هذه الأنظمة الجاهلية الكفرية القائمة.. لكن هذا كله كان بمثابة الأحلام المحلقة التي تراودنا وتتشرب لذتها في صحونا ومنامنا، حلم دولة الإسلام القوية والخلافة الراشدة الموعودة.. هذا الحلم كان يزيدنا حماسة في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونرجو أن نكون ممن يفعل ذلك ولا يخشى في الله لومة لائم.

هل لم نكن نتناقش؟! بلى، كنا نتناقش ونتحاور ونتبادل الآراء والتصورات، رفاعي -مثلًا- يرى أن الأمر لا يتغير إلا بانقلاب عسكري في النهاية وينبغي أن ندعو ضباط الجيش وهكذا، غيره يتصور طريقة أخرى، لكن لا أحد يعمل على تحقيق تصوره، لا رفاعي يدعو ضباطًا في الجيش أو يجمعهم، ولا الآخر يفعل أيضًا!

وفيما بعد ومع تطور وتعدد النقاشات كانت السحابة الغامضة تسفر عن بعض الوضوح، لقد وصلنا في النهاية إلى تصور نظري، وهو أيضًا غير مدعوم بأي حركة عملية، هذا التصور النظري يقول بأن الأمر في مصر يتغير عبر الثورة الشعبية المسنودة بقوة مسلحة.

بقدر ما كان نشاطي ينمو، وأعمالي الدعوية تتسع، بقدر ما كان ينمو معه الخوف والقلق في نفس أبي وأمي، كنتُ شخصًا ذا قدر وهيبة واحترام في بيتنا، أبذل لأبي وأمي الاحترام اللائق بهما، لكنهما يبذلان لي احترامًا مقابلًا، كنتُ من يشير عليهما، وكانا يلجآن إليّ: ماذا نفعل في كذا وكذا؟.. ولقد كان هذا نمطًا عامًا رأيته في جيلنا، أقصد قيادات العمل الطلابي الإسلامي، رأيتهم يحملون مسؤولية بيوتهم، ولهم القدر الوافر من الاحترام والتقدير في نفوس آبائهم وأمهاتهم. وهذا الأمر تسمعه -لو سألتَ- من الشيخ أسامة حافظ والشيخ عاصم عبد الماجد والشيخ كرم زهدي.. لم يكن يقع بيننا وبين آبائنا صدام في البيوت، على العكس، لقد أسلموا لنا القياد، إسلامًا تحوطه المحبة والتقدير.. ويحوطه أيضًا الخوف والقلق.. الكثير من الخوف والقلق والحذر!

ثم بدأ العام الدراسي الجديد في خريف **١٩٧٨** .. ولقد كان عامًا عامرًا أيضًا!

[وللحديث بقية]

لقراءة الحلقات السابقة:



طبائع المدجنين

محمد حافظ

تحيرني طبائع المدجنين وطرقهم في التفكير.. مجهود ضخم جدا لتقنعهم بما هو فطري وبديهي..

لذلك قيل (من المعضلات توضيح الواضحات).

سويسرا مثلا لم تخض أي حرب منذ أكثر من ١٥٠ عاما، ولا تواجه أي خطر عسكري مباشر أو غير مباشر على مسافة ألف كيلو متر من جميع الاتجاهات، ومع ذلك فهي تقع في المرتبة الثالثة عالميا (بعد أمريكا واليمن) في عدد السكان الذين يمتلكون السلاح.. إذ يمتلك ثلث شعبها السلاح بصورة قانونية.

إنها ثقافة الدفاع عن النفس الفطرية.. فما الذي أستفيده حينما يُعدَم المجرم الذي اقتحم بيتي وقتل أطفالي؟ هل سيعيد ذلك أطفالي؟ لماذا لا تكون عندي قطعة سلاح لأمنع وقوع الجريمة ابتداء، بدلا من أن يدمر أحدهم حياتي بينما أنتظر أن يأتي أحدهم لإنقاذي أو لا يأتي؟



إن المجرم سيحصل على السلاح في كل الأحوال سواء منعته الحكومة أم لا..
فلماذا تكون له هذه الميزة بينما يمنع منها الشخص الشريف؟

سيفكر المجرم ألف مرة قبل تنفيذ جريمته إذا علم أن من سيهاجمه مسلح.. وتحت يدي الآن إحصائيات أمريكية تفيد بانخفاض معدل الجريمة في الأماكن التي يزداد امتلاك الناس فيها للسلاح.

ستقول إنه سيتسبب في حوادث قتل.. فلنمنع سكاكين المطبخ إذن التي قد تستخدم للقتل.. بل لنمنع السيارات والطائرات والقطارات، فقد قتلت هي الأخرى مئات الألوف من البشر.. سوء الاستخدام وارد وليس هو الأصل.. ويمكن ضبطه بقواعد تنظيمية مثل أي شيء له جوانب سلبية يضبط بقواعد تنظيمية لتقليل سلبياته.

إنها ثقافة السلاح.. الذي هو الضامن الحقيقي الوحيد لمنع طغيان الحكام.. لذلك تمنعنا الحكومات العميلة في بلادنا من حيازته.. بينما نجده حقا دستوريا في بلاد أخرى.. إنها بلاد علمت أن الطغيان قد يكون أكثر كارثية من الغزو الأجنبي فصار السلاح ثقافة مجتمعية عندهم.

التسلح ضمان حقيقي آخر لمواجهة الغزو الأجنبي.. هل كانت أفغانستان لتصمد في وجه أمريكا ومن قبلها روسيا لو لم يكن شعبها مسلحا.. وهل كان لليهود أن يفروا مولين الأدبار لو لم يكن أهل غزة مسلحين.. وهل كان لأهل بورما أن يُحرقوا وهم أحياء لو كانوا مسلحين؟

هل أمرك دينك أن تعيش مهانا تحت رحمة "بلطجي" الشارع أو عصابة المنطقة؟ هل مطلوب من المسلم أن يعيش في رعب دائم على زوجته وابنته وأخته، والتي إن اعتدى عليها أحدهم فلن يملك لها سوى تقديم شكوى لقسم الشرطة، الذي سيضع بدوره شكواك على الرف فتعيش مطأطئ الرأس بقية عمرك؟ والتي أيضا إن لم يصبها مكروه فذلك راجع لكرم أخلاق البلطجي فحسب وليس لأي سبب آخر.. وكفى بهذا إذلالا لمن تَفكر..

ثـم إن انتشـــار السلاح في الغرب صار قاطرة لتطوير علوم كثيرة.. وتقدم صناعات كثيرة.. وازدهار اقتصاد واسع.. وانا أرصد ذلك بنفسي متحسرا على شعوبنا المدجنة الذين يعيشون في منطقة تموج بالحروب وتعج بالصراعات وتزدحم بالطغاة وتستبيحها الجيوش الأجنبية، ولا يقدرون على حمل مطواة جيب ويمضون حياتهم مدجنين دون أن تمس سبابتهم زناد بندقية..

هذا الطفل مثلا.. يتعلم الرماية برشاش أنت لا تعرف اسمه أصلا.. فضلا عن مواصفاته أو كيفية الرماية به، وهو ليس حالة فريدة لأب صهيوني متطرف.. فأكثر من ١٧ ألف طفل في أمريكا يتلقون التدريب العسكري إلى جانب التعليم العادي منذ نعومة أظافرهم.. ناهيك عن النوادي والمجموعات والتدريب المنزلي.. ويبدو أن الثرثرة حول حقوق الطفل موجهة لنا وحدنا فحسب..

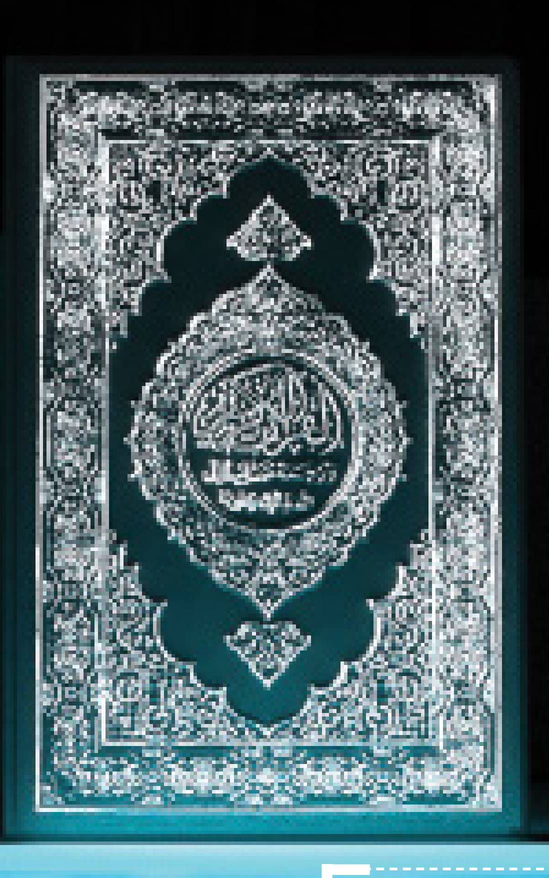
يعلمونهم وهم دون الثامنة الرماية ببندقية M16 واستخدام القنبلة اليدوية MK2، ودروسا نظرية في قيادة الدبابة إبرامز.. بالإضافة إلى دروس عملية ونظرية في فن التخفي والاستراتيجيات وأساليب حرب العصابات، إنهم لا يربون دجاجا ينتظر دوره في الذبح.. بل يربون أولادهم تربية واقعية في عالم لا يعرف سوى لغة القوة..



وبعد سنين قليلة وفي غفلة منك، وبينما انت وابنك تركضان لتحصيل لقمة العيش وتحسين ظروف المعيشة في واقع طاغوتي لا يمكن تحسينه.. سيكبر هذا الطفل ويأتي لبلادك ليحتلها ويقتل أطفالك ويهدم بيتك.. ووقتها أخبر طفلك أن يواجهه بالورود.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)



الزاد الروحي للمجاهد في سبيل الله..

حقيقته ومقاصده

د. وصفي عاشور أبو زيد

يمثل الزاد الروحي المستمد من الكتاب والسنة ضرورة للمسلم عامة، وللمجاهد في سبيل الله خاصة؛ فغايات التشريع لا تتحقق إلا بتجديد الروح وتزكية النفس، ومقاصد المكلفين لا تكون في هذه الحياة إلا بالزاد الروحي الرباني في مصدره ومنهجه ووجهته وغايته.

وإذا كان المسلم لا غنى له عن هذا الزاد «الضروري»، إذ به يتميز عن سائر المخلوقات، فكيف بالمجاهد الذي يغامر بروحه في قلب المعركة وفي ساحات القتال وعرصات الوغى والكر والفر وفتنة السيف على رأسه؟ وقد ورد « أنَّ رجلًا قال يا رسولَ اللهِ ما بالُ المؤمنين يُفتنون في قبورِهم إلّا الشَّهيدَ قال كفى ببارقةِ السُّيوفِ على رأسِه فتنةً». [رواه المنذري بإسناد صحيح، وصححه الألباني].



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ في الجنةِ مِائةَ درجةٍ أعدَّها اللهُ للمجاهدِينَ في سبيلِ اللهِ، ما بين الدَّرجتيْنِ كما بين السماءِ والأرضِ...». [الجامع الصغير للسيوطي، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢١٢٦].

اهتمام التشريع بالزاد الروحي:

" ولقد اهتم التشريع الإسلامي غاية الاهتمام بالزاد الروحي للمسلم، وشرع من الشعائر ما يعزز المشاعر، وفرض من الفروض وسنَّ من السنن والمندوبات والمستحبات ما يقيم المسلم إنسانا مكرما كأرقى ما يكون الإنسان! **"**

ها هي الصلوات خمس مرات في اليوم والليلة، ثم نوافلها، وها هو الصيام شهرا في العام ثم نوافل لا تنقضي، وكذلك الزكوات والصدقات دائمة ومستمرة، وها هو الحج والعمرة يتتابعان، وها هو القيام والذكر والاستغفار والتوبة والأوبة والاستسلام لله والدعاء والرجاء .. لا ينقطع كل ذلك الليل والنهار!

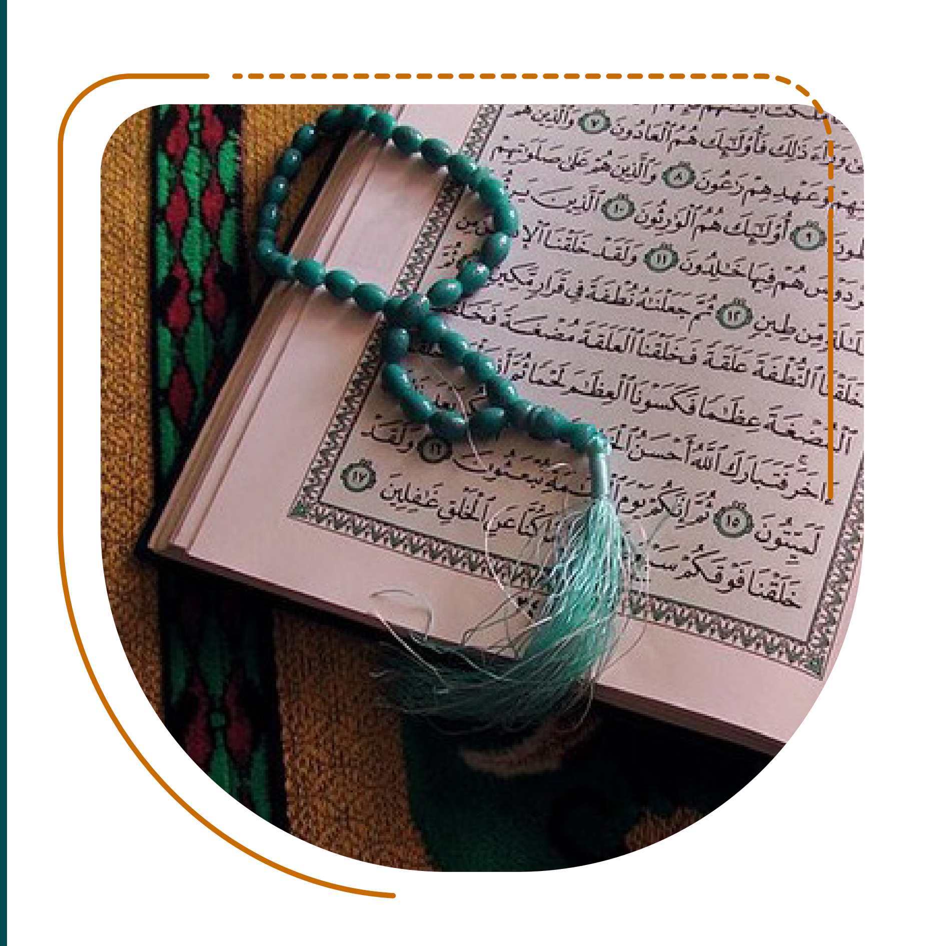
وإذا كان الشرع الشريف شرع كل هذا للمسلم في أحواله العادية فكيف بالمجاهد في سبيل الله الذي يتعرض للشهادة ويقاتل عن دينه وعرضه ونفسه وماله وأرضه ويحمل روحه على كفتيه؟

زاد المجاهد الروحي في قلب المعركة كما قرره القرآن:

إن القرآن الكريم قد بين أن الزاد الروحي هو المقوم الأساس للمقاتل في أرض المعركة، ولم ينشغل القرآن الكريم بالنصر ابتداء وإنما أشغل المسلم بالزاد الروحي الذي يعتبر أقوى الأسباب لاستنزال النصر الذي قرر الله أنه «من عند الله» فقط.

ولهذا نجد القرآن واضحا في هذه المسألة؛ إذ أورد على ألسنة المجاهدين في دعائهم ما يعبر عن الزاد الروحي أثناء القتال وضرورته أثناء القتال، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٢٥٠] فانظر كيف كان دعاء المجاهدين حين التقى الجمعان وبرز الفريقان: «أفرغ علينا صبرا .. ثبت أقدامنا .. ثم: انصرنا».



ولهذا كانت النتيجة كما ذكر الله تعالى في الآية بعدها: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة ٢٥١].

وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة ٢٨٦]. فالدعاء كما هو وضاح بالصبر والعفو والغفران والرحمة، ثم بالنصر..

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٧].

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي في تفسيره لهذه الآية: «علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي منها من أسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها. ثم إنهم لم يتكلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستنصار بربهم، لا جرم أن الله نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة».



ولهذا قال الله تعالى في الآية بعدها: ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران ١٤٨].

وأوصى الله تعالى المؤمنين بالثبات وذكر الله حين اللقاء في ميدان المعركة، فقال مناديا على المؤمنين بهذا النداء المحبب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٧]. فانظر كيف رتب على ذلك الفلاح، والفلاح هنا معناه النصر بلا ريب، وقد قال شهيد الإسلام سيد قطب في تفسير هذه الآية: «فهذه هي عوامل النصر الحقيقية: الثبات عند لقاء العدو. والاتصال بالله بالذكر. والطاعة لله والرسول. وتجنب النزاع والشقاق. والصبر على تكاليف المعركة. والحذر من البطر والرئاء والبغي».

قال السعدي في معنى قوله تعالى هنا: «لعلكم تفلحون»: «تدركون ما تطلبون من الانتصار على أعدائكم، فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر».

وفي موضع آخر يؤكد القرآن الكريم هذا المعنى فيقول الله عز شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

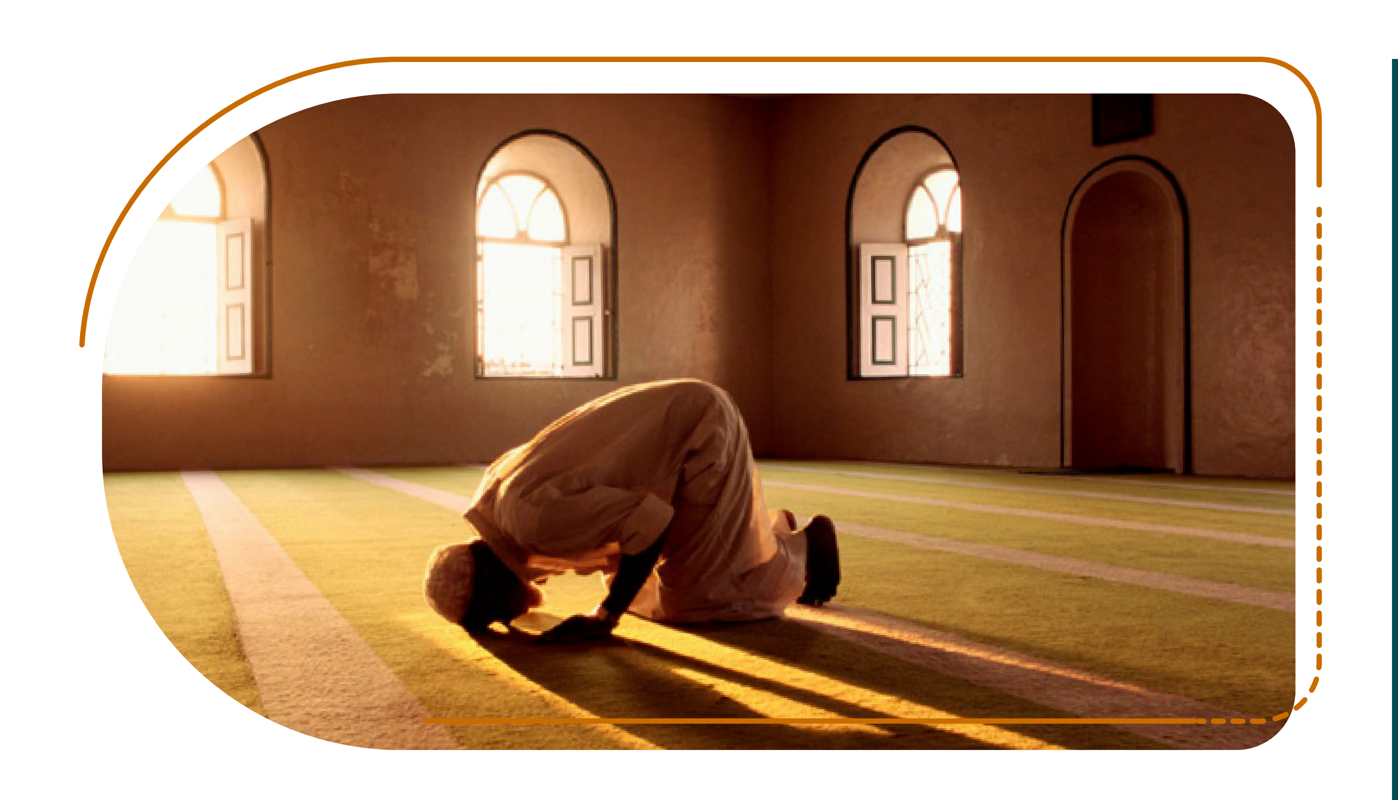
ففي هذه الآيات الكريمة دلَّ الله تعالى عباده المؤمنين على تجارة منجية يوم القيامة من غضب الله وعذابه، وهي الإيمان به والجهاد في سبيله، وبين عاقبة هذه التجارة وهي: المغفرة، ودخول الجنة، ومساكن طيبة فيها، ثم جاء في النهاية بما تحبه النفوس في الدنيا وقال: «وأخرى تحبونها نصر من الله»، وكلمة «أخرى» لا تخفي أنها نافلة في هذا السياق وليست مقصدا أصليًّا يقصده المؤمنون بجهادهم في سبيل الله، ولأنه ليس بأيديهم وإنما هو من عند الله، والذي بأيديهم هو التحقق بمعاني الزاد الروحي، وإعداد القوة والأخذ بالأسباب.

مقاصد التزود بالزاد الروحي للمجاهد في سبيل الله:

إن التزود بالزاد الروحي له مقاصد مهمة للمسلم المجاهد في سبيل الله سواء أكان ذلك قبل المعركة أو قبلها أو بعدها، ومن أهم هذه المقاصد:

أولا: امتثال أمر الله تعالى:

كل الآيات القرآنية التي أوردناها سلفا تشير إلى أهمية أخذ الزاد الروحي والقيام بمقتضاه للمسلم في أحواله عامة، وأثناء القتال بوجه خاص.



كما أن الله تعالى أمرنا أمرا مباشرا بتجديد الإيمان فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ...﴾ [النساء ١٣٦].

وأمرنا بالتزود من التقوى فقال: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة ٩٧].

«وإذا كانت هذه الأوامر المباشرة للمسلمين عامة فإن المجاهد في سبيل الله مخاطب بها بطريق الأولى، وهو أولى بذلك؛ نظرا لعمله المقدس، ومجاله الأصعب.»

ثانيا: الثبات في ساحات القتال:

فإن ذكر الله تعالى من أكبر المثبتات في الساحة القتالية؛ ولهذا يقول الله عز شأنه كما أشارت سورة الأنفال: «فاثبتوا واذكروا الله كثيرا». فكأن ذكر الله هنا هو المقوم الأساس للثبات، وإن المسلم إذا استحضر وجود الله،

واستعان به، واستلهم قوته وقدرته المطلقة مع أخذه بأسباب الأرض المادية فلا شك أن الفلاح سيكون حليفه والنصر سيكون قرينه!

كما أن المسلم بهذا الإيمان الصادق يملك نفسًا فدائية، وهو باستشرافه الشهادة وأجر الشهداء ومنزلتهم عند الله ليتطلع إلى ذلك مقبلا غير مدبر، ومقداما غير محجام، ومُقدّمًا الفداء وملبيًا النداء بنفس راضية مطمئنة.

ثالثا: تحقيق الالتزام بأخلاق القتال:

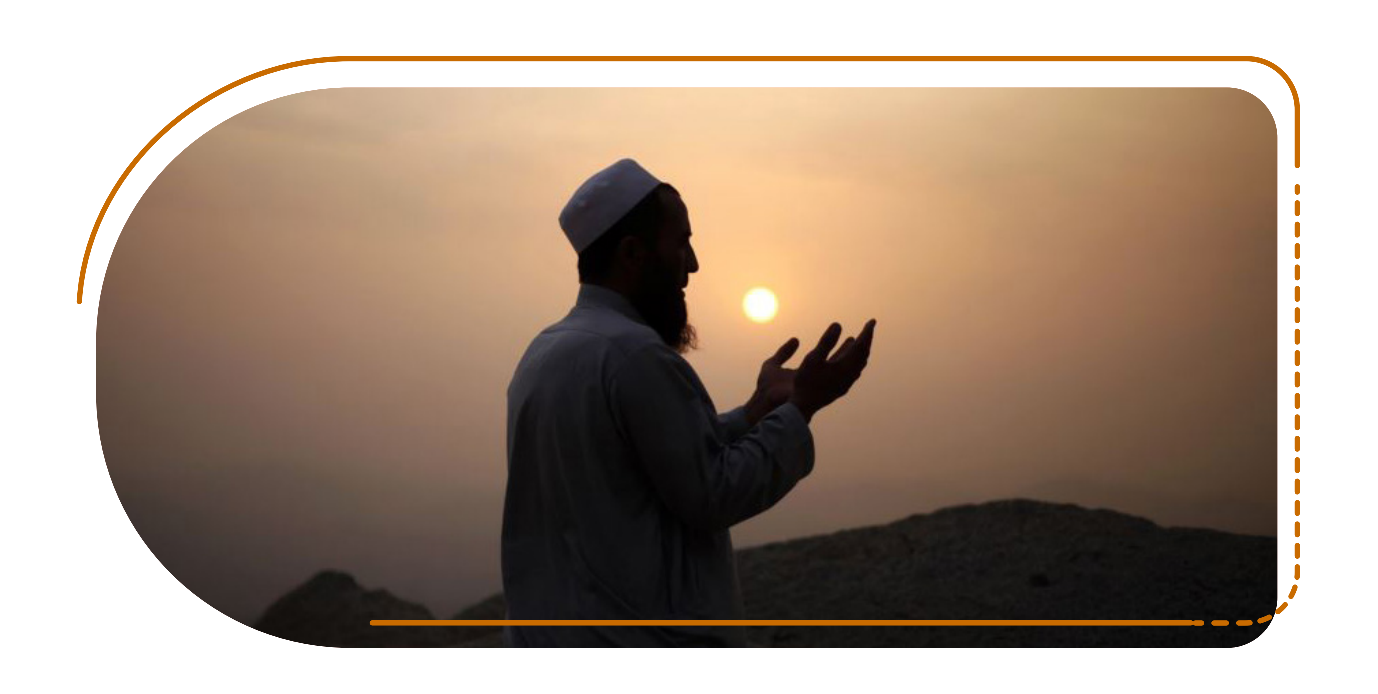
فالإسلام يتميز بهذا القيد حين يذكر الجهاد أو القتال: «في سبيل الله» وليس في سبيل أطماع شخصية، ولا إشباع رغبات ذاتية، ولا شفاء الغليل بالانتقام والإذلال، وإنما في سبيل تحقيق تمكين دين الله في الأرض، ودين الله جاء لمصالح الناس في الدنيا والآخرة، ولم يأت لإعناتهم ولا التعسف معهم في المعاش أو المعاد.

" وفي القرآن الكريم والسنة النبوية مدونة كاملة عن أخلاقية الجهاد والمجاهدين في سبيل الله، مع الإنسان، ومع الحيوان، حتى مع الجمادات، وهذه آداب وأخلاق لم تعرفها البشرية قبل الإسلام، ولم تعرفها إلا في الإسلام، والإسلام وحده. "

وحين يلتزم المسلم بالزاد الروحي ويحصله ويهتم به فإن هذا الزاد يمثل له حصانة من الانحراف الأخلاقي فيما أمر به الشرع من أخلاق تخص الجهاد والمجاهدين؛ لأنه يذكر الله ويتوب إليه وستغفره ويدعوه بالثبات والنصر.

رابعا: تحقيق التكامل في التصور والواقع:

التصور الإسلامي يتميز بتفرده بين تصورات الدنيا والأرض قاطبة، فلا يوجد تصور يشابه أو يقارب التصور الإسلامي، في ربانيته، وفي شموله، وفي اعتداله وتوازنه، وفي مثاليته وواقعيته، وقد أفاض الأستاذ سيد قطب في الحديث عن خصائص التصور الإسلامي بما لم يسبق إليه ولم يلحق به.



والإسلام يهتم بالحياة الروحية وتزكية النفوس وتصفية الأرواح ولكنه لا يدعوهم إلى العزلة وقضاء الحياة بين جدران المساجد وسبحات الليل والنهار، وإنما يدعوهم بل يأمرهم بقيادة الحياة وتمكين الشريعة بين الناس دون إكراه أو اعتساف، ولا يكون هذا إلا بالجهاد في سبيل الله؛ فلا عز ولا نصر ولا تمكين إلا بالجهاد.

وفي الوقت نفسه حكم هذا الجهاد بأخلاق تمنعه من الانحراف أو التشوه أو النقص أو ما يمكن أن تترتب به نتائج عكسية أو مقاصد غير شرعية، وإنما ضبط الإسلام الجهاد بأخلاق وسلوكيات تحقق مقاصده في هذه الحياة.

وهناك مذاهب وضعية وأفكار تزعم انتسابها للإسلام في الوقت الذي تدعو فيه إلى إسلام مستسلم، لا حركة فيه ولا قوة، ولا كرامة فيه ولا عزة، هو تصوف بلا شكيمة، ومصحف بلا سيف، وسلام بلا مواجهة، بل استسلام شامل واستخذاء كامل .. كما أن هناك من يريد أن يستخدم القوة بلا أخلاق، ويبطش بالناس ويوقع بهم الفساد والإفساد والضرر والضرار، والإسلام يأخذ من هذا وذاك سواء السبيل، ولهذا يقف التصور الإسلامي فريدا بين الشرائع الإلهية والمذاهب البشرية.

خامسا: البعد عن الانحراف الفكري والأخلاقي:

إن أهمية الزاد الروحي للمجاهد طبقا لما قررنا سابقا تحفظ المجاهدين من نوعين من الانجراف:

أولهما: الانحراف الفكري، وله شكلان: الأول: انحراف نحو التشدد حين يغيب الزاد الروحي والانضباط الأخلاقي وقلة العلم بأحكام الجهاد ومقاصده وفلسفته في الإسلام، وانحراف نحو التحلل وهو التفلت من الدين بالكلية والتحلل منه عقيدةً وشريعةً؛ إذ الحركة دون تزكية تجعل المسلم في حالة عدم توازن، فالله تعالى خلق الإنسان من طين وروح، وإذا اهتم الإنسان بجانب وأهمل الآخر حدث هذا الخلل، ووقع هذا الاضطراب.

وثانيهما: الانحراف الأخلاقي والسلوكي، وهو إشباع رغبات الذات وتحقيق الشهوات، والبعد عن تحقيق مقاصد الجهاد باتباع مقاصد الصادين عن سبيل الله، والانسلاك في مهاوي العمالة والتبعية لأعداء الأمة والملة.

وإن ما رأيناه ونراه اليوم من انحرافات وعمالة وسط صفوف المقاومة وجماعات القتال في أي مكان فإن أول أسبابه ترجع إلى ضعف أو انعدام وجود هذا الزاد الذي يعصم المجاهد في سبيل الله منه ويقفه على الطريق القويم والصراط المستقيم.

إن الزاد الروحي للمجاهد من الواجبات الشرعية والضرورات الواقعية التي لا مفر منها ولا غنى عنها، فإنها هي العاصمة من القواصم، والمانعة من الانحرافات، وهي الوحيدة التي توقفه على «في سبيل الله» وليس سبل الشيطان ولا سبل الغرب أو عملائه في كل زمان ومكان.



شروط الثورة

د. عطية عدلان

الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد..

ليس الحديث هنا عن شروط نجاح الثورة، فلهذه الشروط موضع آخر وسياق مختلف، إنّما الحديث هنا عن شروط قيامها واندلاعها، فهذه هي المعضلة الآنية على وجه التحديد والدقة، لماذا هي عَصِيَّةٌ وأَبِيَّة؟! لماذا كلّما اشتعل عود الثقاب انطفأ لتَوِّه قبل أن يبزغ منه اللهب؟! لماذا تمرّ السَّحابة الحُبْلَى فترعد وتبرق وتظلم الأجواء ثم تمضي دون أن تَبِض بقطرة؟ لقد تنامى الوعي بالظلم الواقع على العباد، وتنامى معه الغضب وبلغ ذروته، والغضب الصاعد والوعي الواعد هما الشرط الأول والأكبر لاشتعال الثورة؛ فما الذي يؤخرها؟ وما السر في هذا الجمود الذي يوشك أن تتحطم على صخرته كل الآمال؟!

أهو الخوف والإرهاب يلف البلاد بغيومه السوداء، ويغلف القلوب بغشاء الرهبة فلا يغشاها بريق من الأمل ولا يثقبها شعاع من الرجاء؟ أم هي الدنيا تهيمن على الكينونة البشرية فتَتَقَلَّص بآمالها في محضن الأنا وتَتَقَبَّض بأحلامها في عش الذات؟ أم تراها التجارب السابقة قد خيمت على عقول الناس بما تحمله من مرارة الفشل ولوعة الهزائم؟ أم إنّ ما يجري حولنا في ديار الإسلام وأصقاع المسلمين يثير حالة من التوجس تقف حائلًا دون التقدم والاندفاع؟

هذه هي المادة التي يقتاتها العقل الجمعيّ في أرض الكنانة، وهذه هي الخواطر التي تجول وتصول في الخيال العام والأثير المحيط، ولا أحسب أنني أضفت جديداً سوى إظهارها وبلورتها في جمل تخرجها من العقل الباطن ليدركها العقل الواعي، وتثيرها من مكامن وزوايا ودروب غائرة في النفس لتطفو على السطح وتتناولها الأنظار والأبصار؛ فالآن ما هو الحل؟ وما هي شروط الخروج من هذا الصمت المميت؟

بداية ينبغي أن نقرر ونؤكد على أنّ تعانق الوعي والغضب هو الشرط الأكبر والأول لاندلاع الثورة، فبدونه لا تقوم ثورة من حيث الأصل، لكنّ هذا الشرط ليس هو الشرط الوحيد ولا المقوم الفريد، إنّ طبيعة الشروط أنّها إذا تعددت وجب استيفاؤها، ولم يجز تجاهل شرط واحد منها؛ إذ إنّ الشرط هو ما يلزم من عدمه العدم، فكل شرط معدوم يعدم المقصود كله، وهذا هو الفرق بين الشروط وبين الأسباب والعوامل والمقومات، وحتى لا ننزلق إلى جدلية كلامية هيّا بنا ندلف إلى صلب موضوعنا وهو الشروط.

•• إنّ الثورة لا تقوم - وإذا قامت لا تدوم - ما لم تتحول الرغبة في التغيير إلى عقيدة، هذه العقيدة الثورية شرط لا بد منه لأي ثورة، ولست أعني بها معنى من المعاني التي تتبادر إلى الذهن بمجرد النطق بكلمة عقيدة؛ فهي أبسط بكثير مما قد يذهب إليه الظن المندفع في سرعته الطائش في إصابته، إنّها ليست سوى الأفكار التي يقتاتها الوعي العام،

غير أنّها بعد أن تتفاعل مع ثقافة الأمة وهويتها تتحول من مجرد أفكار تسكن العقل البارد إلى حزمة من الطاقة الشعورية الواعية مسكنها القلب والشعور والوجدان، فأفكارنا عن الظلم والطغيان، وعن سرقة مقررات البلاد ومقدرات العباد، وعن الغش والكذب الذي تمارسه الطغمة الحاكمة على الشعب عبر وسائل إعلام تحتكرها وتمنع وتقمع كل صوت يشذ عن طريقها، وعن العمالة والنذالة التي أوفت على الغاية وبلغت المنتهى؛ هذه الأفكار يجب أن تمد جسور التواصل مع ثقافة الأمّة وشريعتها؛ لتتحول من أعواد مرصوصة في الوعي البارد إلى وقود مشتعل وطاقة محركة؛ لذلك يجب تفعيل الخطاب الإسلاميّ البسيط العام.



فالظلم والطغيان والغش والخداع والنهب والسرقة وغير ذلك محرمات تستوجب الإنكار شرعاً، ولاسيما إذا صدرت من حاكم تجاه شعبه، والدفاع عن الدين والعرض والحرمات واجب يفرضه الإسلام وتوجبه الشريعة، ومقاومة الاستبداد والفساد نوع من الجهاد الذي ينال المرء عليه أعلى الدرجات في جنات النعيم، والسكوت إذا عمّ وطمّ صار خطيئة لا ينعتق الناس من مغبتها، والأمّة الإسلامية مدعوة للقيام بواجبها المقدس في دفع الظلم ورفع الإصر والعنت، ولا سبيل لها إلا بالاستعانة بالله والالتزام بمنهجه، والحياة كلها في نظر الدين المنزل من رب العالمين صراع بين

الحق والباطل، والمسلم لا قيمة لوجوده بغير انحيازه للحق وانضمامه لكتائبه، والدنيا هذه صغيرة حقيرة لا تستحق أن يؤثرها المرء على مطالب الحق، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية، وطوبى لمن بذل نفسه في سبيل خلاص الأمة من الأسر وفكاكها من القيد، وإنّ لنا في رسول الله والذين معه أسوة.

هذه ببساطة ودونما تعقيد هي عقيدة الأمّة، وليس في هذا أدلجة للثورة ولا تحويل لها من ثورة شعبية إلى ثورة دينية، فالشعب مسلم بطبيعته، مؤمن بفطرته، ورث الإسلام عن مجتمع ضارب بجذوره في التربة الإسلامية العريقة، فإذا انطلقت الثورة من بين دفتي المصحف فليس في هذا إقحام لأيدلوجية ولا تمييز بدين، وإنّما هو الشعب المسلم في سجيته وتلقائيته.



نحن لا نتحدث عن مشروع إسلاميّ ولا عن دولة خلافة ولا عن عموم رسالة، وإن كانت كل هذه المعاني متجذرة في نفوس المسلمين، وليست بغريبة عن ثقافتهم، لكنّ الحديث عنها لا يكون في سياق ثورة شعب ينشد حريته، وإنّما يكون في كل زمان بحسبه، وأحسب أنّها في هذا الزمان تأتي في سياق مشاريع سياسية يقدمها المؤمنون بها في ظل تنافس شريف وصريح بين التكتلات السياسية المختلفة.

ولم نشهد في التاريخ المعاصر ثورة استغنت عن وقود مستمد من ثقافة أمتها وهويتها الحضارية، نحن فقط الذين يراد لنا الانسلاخ عمّا لا قيمة لوجودنا ولا معنى لحياتنا إلا به؛ لا لشيء إلا لخوفهم على أيديولوجياتهم الدخيلة من الانكشاف والتعري والهزيمة أمام عقيدة الأمة وثقافة الشعب، فهل من العقل الالتفات لمثل هذا الإرهاب الفكريّ الذي يمارس علينا باسم مقاومة الإرهاب الفكريّ؟!



ولا ريب أنّ أبناء الشعب في تبنيهم لهذه العقيدة وتأثرهم وانفعالهم بها يتفاوتون تفاوتاً عظيماً وهذا شيء طبيعيّ؛ وهذا هو ما يدعونا إلى ضرورة بناء قاعدة صلبة تحمل البناء الشعبيّ، أو نواة صلبة تتراكم على متنها شرائح الشعب، كل بحسب درجة قربه أو بعده من الدائرة الأكثر قدرة على الاستمرار، هذه القاعدة شرط آخر من شروط قيام ودوام الثورة، وعامل مهم من عوامل استمرارها واستقرارها، إنّها هي المحرك الحقيقيّ للشارع، والمقياس الحقيقيّ لقوته وتأثيره، وعليها تتكاثف الكتلة الحرجة المنتظرة، وبدونها تذوب الكتلة الحرجة تحت حرارة الأحداث، ويتمزق شمل الجموع الثورية تحت مطارق الفتن وعواصف المحن، فيلزم أن يوجدوا، ومع ذلك فوجودهم سهل وقريب، ليس علينا إلا أن نضع برنامجا نحيي به الأمل في نفوس أبناء رابعة والنهضة، الذين صنعتهم المحنة صناعة خاصة، وما صرفهم عن الاستمرار إلا غياب الرؤية وافتقاد البوصلة، وهذا شرط آخر.

ما رؤيتنا في التغيير نفسه؟ لا بعد التغيير ما حجمنا وما الحجم الحقيقيّ لعدونا؟ وما هي الوسائل والأدوات التي يجب أن تتوفر لمواجهة هذا العدو؟ وكيف وبأي طريقة ووفق أي استراتيجية تستثمر هذه الأدوات، وما هي التوقعات لردود الأفعال على المستوى المحلي والإقليمي والدولي؟ كل هذه الأسئلة لا يصح للكبار أن يهربوا منها ويجفلوا عن مواجهتها، وإلا ستكون دعوتهم للشباب نفخاً في رماد، إنّ الإجابة على هذه الأسئلة مسؤولية المسؤولين، وإلا فليرحلوا ويزولوا من سماء هذه الأمّة حتى ينكشف لها الطريق.



• • إنّ الشعب لن يتبع داعيًا إلى ثورة - فرداً كان أو كياناً أو غيره - حتى يسكنه الشعور بأنّه قادم، وليس عند الشعب استعداد لأن يجرب؛ فكيف السبيل إلى طمأنة الشارع وإشعاره بأنّ الذي يهتف بهم للخروج قادم وبقوته وقدرته جاثم، كيف السبيل إلى وضع النظام في حالة تجرئ الناس عليه وتشعرهم بقرب سقوطه وبهوانه على الله وعلى الناس، هل تصدق أنك يمكن أن تدفع الناس لخطر المواجهة وأنت غير قادر على حمايتهم ولو نسبياً؟! فما هي أدوات الحماية والنكاية، الحماية للثوار والنكاية في الأنذال؟

لم نتحدث عن أهمية وجود قيادة للثورة، ولا عن ضرورة وجود جهاز إداري يكون في حالة انعقاد دائم، ولا عن مشروع كامل للتغيير، ولا عن كثير من الأمور المهمة؛ لأنها شروط نجاح الثورة، ونحن لا نتحدث إلا عن شروط قيامها واشتعال جذوتها، فهل نحن قادرون؟ نعم.. إن شئنا.. والله المستعان.



حواشي الثورات

د. مجدي شلش

الحاشية مصطلح علمي، معناه شرح الشرح، يأتي العالم فيضع المتن في العلم المعين، فيختزل فيه الحقائق والمعاني الكثيرة في ألفاظ وجيزة، وكلامه غالبا أقرب إلى الرموز والألغاز، فيحتاج ذلك غالبا إلى شرح وتوضيح وبيان.

يأتي الشارح للمتن، فيخرجه من حيز الغموض إلى حيز التجلي والوضوح، حتى يستفيد من المتن أكبر عدد من الناس، وفي الغالب يكون الشرح كافيا لإزالة الاختصار الذي في المتن وبيانه، وإلا كانت فائدته محدودة أو معدومة.

ثم تأتي مرتبة الحاشية بعد الشرح، وهي أداة لبيان الشرح، إذا تعلق بالشرح بعض اللبس أو الغموض، فالحاشية زيادات تحوم حول الشرح لبيانه، وفي الغالب يستغني عنها الشرح، لأنه في الأصل مقامه الأول بيان المتن. الحواشي في العلوم غالبها من باب التتمات أو التحسينات، يمكن الاستغناء عنها بكفاية الشروح إن كانت الشروح كافية.



"هكذا الثورات ضد المستبدين والمجرمين من الحكام الظلمة الفجرة تحتاج إلى طليعة تمثل المتن، بقوة عبارته، ورصانة لفظه، وقلة كلماته، فالقادة والرموز وأهل العلم والفكر هم بمثابة القوة الصلبة التي ينكسر على ثباتها وقوتها الانقلاب وغيره."

وتأتي المرتبة الثانية من الناس، وهم بمثابة الشرح للمتن، تزيد القاعدة الصلبة قوة وصلابة، وتعيش مهمة الدفاع عن الثوابت والمبادئ بكل إمكاناتها المادية والمعنوية، هم أقرب للفكرة والهدف الذي قام من أجله المتن والقاعدة الصلبة.

أما الحواشي من أتباع الثورات فهم الزيادات التي تستغني عنهم غالبا، هم في الغالب كمالة عدد، أو وضوح الوضوح، يظهرون الحب للثورة والتفاني من أجلها ظاهرا، حتى إذا تجلت التضحيات وكبرت ذابوا في الماء كالملح.

قامت ثورة يناير ٢٠١١ م فكانت القاعدة الصلبة ومتون الثورات في ميدان التحرير، بكل الأطياف والأصناف، ثم لما أخرجت مبارك من الحكم، انضم إليها كثير من أبناء الأمة المحترمين، فزادوها قوة إلى قوتها، ووضوحا لأهدافها، ورسوخا لمبادئها.

كانوا بمثابة الشرح للمتن، يزداد به بهاء وجمالا وقوة، ويلتحم بالقاعدة الصلبة التحام الرأس بالجسد، لا مفارقة في الأهداف، ولا خوف من التضحيات، حملهم الأمل في التغيير والإصلاح إلى الدفاع عن ثوابت الأمة.



"وظهرت بعد نجاح الثورة لمامات من البشر، وأشخاص هم أقرب للمتعة الشخصية والمنفعة المادية مع الثورة، أكثرهم يلعب على كل الحبال، ويجري وراء كل مصلحة، يعد نفسه من أكبر الثوار، وحامي حمى الديار."

يطالب بالحق قبل أداء الواجب، يظهر عند المنافع، ويختفي عند المحن والنوازل، أقرب وصف له قوله تعالى "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ...." وقوله تعالى: " ... فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ".

بعض الشباب عاش ثورة يناير بمثابة الحاشية والزيادة، والنظر إلى المغنم قبل المغرم، والأخذ قبل العطاء، فلما حدث الانقلاب كانوا أول الخارجين عن الثورة، والكارهين لها، والشاتمين لمتونها وشروحها.

خرج هذا البعض من مصر بعد الانقلاب مباشرة، خوفا ورعبا، خرجوا من المطارات بكل أريحية حيث شاؤا، بمجرد أن ظهر اسمه في محضر، أو سألت عنه الشرطة طار قلبه خوفا وفزعا، طار المغنم الذي كان ينظر له، وما بقي إلا المغرم الذي لا يقدر عليه.

ذهب هذا البعض إلى تركيا والسودان على أنه من كبار الثوار، فكيف لا يستقبل في المطار، ولا يسكن مع كبار القادة والثوار، أكثر هذه الشريحة من الشباب وغيرهم لم يأخذوا قسطا من التربية أو الأدب، ذابوا في المجتمعات ذوبان الملح في الماء.

حواشي ثورة يناير كثر، منهم من عدها بعد الانقلاب فورة، ومن قال عنها إنها مؤامرة، ومنهم من تفلسف وقال هي لا ثورة ولا مؤامرة وإنما احتجاجات شعبية على نظام فساد.

لو سألت هؤلاء جميعا ماذا كان يسمى الدكتور مرسي ـ رحمه الله؟ ألم نسمه جميعا رئيسا جاءت به الثورة، والدستور الذي استفتي عليه الشعب عام ٢٠١٢ م أليس دستور الثورة؟ ومجلس الشعب الذي انتخبه أكثر من ثلاثين مليونا من الشعب أليس مجلس الثورة؟

●● الحواشـي نسيت كـل ذلك، لأن المنفعة والمصلحة ذهبت، وما بقي إلا الغرم، وهو ليس من أهله، هم ظاهرة كلامية منتفخة البطن، كبعض حواشي العلم التي لا فائدة منها.

> متن الثورة موجود في السجون والمعتقلات، والداخل الذي برغم التصفيات والذبح مازال قابضا على الجمر، وكثير من شباب الخارج الذي خرج بعد معاناة وألم، خرج كرها لا هربا، خرج باكيا بعد الضغط عليه من إخوانه وأصحابه.



كثير من الحواشي التي خرجت خوفا وفزعا ورعبا بعد الانقلاب مباشرة من الشباب أو غيرهم تصدروا المشهد السياسي والإعلامي، ونعموا من الأموال والمنافع.

بعضهم أصبح عدوا للمتون والشروح التي خرجت مؤخرا، وأبعدهم عن المشهد، وحاربهم حتى في مصدر رزق يكفي عليهم بعض الحياة الكريمة، يسكنون هم أفخم المساكن، وأفضل المراكب، وأشهى الأطعمة، وكثير من الشباب الحر الثائر الحق لا يجد مأوى أو مسكنا أو مطعما أو ملبسا.

حواشي الثورات تنظر للعمل الثوري على أنه عنف وإرهاب، والحركة من أجل استعادة الثورة ضياع للوقت والجهد، بعضهم سلم إخوانه للغير يعبث بحياته، وبعضهم جعل من سلميتنا أقوى من الرصاص استراتيجية لا تقبل الأخذ والرد، ونسوا كلمة المرحوم بإذن الله الدكتور مرسي وهو رئيس الجمهورية لما قال: "اوعى الثورة تتسرق منكم، بأي حجة من الحجج، الشرعية ثمنها حياتي". الحواشي جعلوا كلام الرئيس من قبيل التكتيك وكلام غيره من قبيل الثوابت.

حواشي الثورات لهم وجود في الإعلام ونشطاء السياسة والحقوق والمال، حيث الحظوة والشهرة، والمكانة والرغبة، لا تكاد تخلو منهم ساحة أو قناة، كلامهم مكرر، وفهمهم مشوش، وضجيجهم فارغ، ورؤيتهم سطحية، ورسالتهم عبثية، هم زبد الثورات وعفشها، وريحها وعفنها، أينما يتوجهون لا يأتوا بخير إلا لنفسهم وذاتهم وكبريائهم.



مصر الآن على وشك ولادة ثورة كبيرة، تكنس قمامات الفساد والاستبداد، وتزيح قمامات الحواشي الراسيات، وتمسح عن نفسها ركام الماضي الأليم، المستقبل رغم تحديات الواقع للثورة التي تبقي على النافع وتحطم الضار.

●● نجاح الثورات دائما ليس مرهونا بالتنظيمات، ولا بالساسة أصحاب الأجندات، ولا بالحواشي المهملات، إنما مركوز في أبناء الأمة وشبابها الطاهر، صاحب العقل الكبير، والصدر الواسع، والعمل الدؤوب، والنظر في الواقع، وهو الأمل في المستقبل.



من سيرة الشيخ أحمد الدردير..

المقاوم الأزهري والفقيه المالكي

في عام ١٢٠٠ هـ، انتشرت الظلم والتعدي في ربوع مصر، مما ألجأ أصحاب المظالم والحقوق لشيوخ الأزهر لما يتمتعون به من ثقل في المجتمع المصري، ولما يتميزون به من الجهر بالحق وعدم خشية أحد مهما كانت مكانته. ومن هؤلاء العلماء الأزهريين الشيخ العلامة والفقيه المالكي الكبير أحمد الدردير.

يقول الجبرتي في تاريخه:

وفي صبحها يوم الجمعة ثارت جماعة من أهالي الحسينية بسبب ما حصل في أمسه من حسين بك، وحضروا إلى الجامع الأزهر ومعهم طبول، والتف عليهم جماعة كثيرة من أوباش العامة والجعيدية وبأيديهم نبابيت ومساوق.

وذهبوا إلى الشيخ الدردير فوافقهم وساعدهم بالكلام وقال لهم: "أنا معكم". فخرجوا من نواحي الجامع وقفلوا أبوابه وطلع منهم طائفة على أعلى المنارات يصيحون ويضربون بالطبول، وانتشروا بالأسواق في حالة منكرة وأغلقوا الحوانيت[1].

وقال لهم الشيخ الدردير: "في غد نجمع أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرنا الله عليهم!".

فلما كان بعد المغرب حضر سليم أغا مستحفظان[2]، ومحمد كتخدا[3] ارنؤد الجلفي كتخدا إبراهيم بك، وجلسوا في الغورية، ثم ذهبوا إلى الشيخ الدردير وتكلموا معه، وخافوا من تضاعف الحال وقالوا للشيخ: "اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ونأتي بها من محل ما تكون!". واتفقوا على ذلك وقرأوا الفاتحة وانصرفوا.

وركب الشيخ في صبحها إلى إبراهيم بك وأرسل إلى حسين بك فأحضره بالمجلس وكلمه في ذلك فقال في الجواب: "كلنا نهابون، أنت تنهب، ومراد بك ينهب، وأنا أنهب كذلك". وانفض المجلس وبردت القضية.

---

(١) أي: الدكاكين. فعلوا ما يشبه الإضراب بالمصطلح المعاصر.
(٢) مرتبة عسكرية.
(٣) نائب أو معاون

وفـي عقبها بأيام قليلة حضر مـن ناحية قبلـي سفينة وبها تمر وسمن وخلافه، فأرسل سليمان بك الأغا وأخذ ما فيها جميعه وادعى أن له عند أولاد وافي مالًا منكسرًا، ولم يكن ذلك لأولاد وافي وإنما هو لجماعة يتسببون فيه من مجاوري الصعايدة وغيرهم، فتعصب مجاورو الصعايدة وأبطلوا دروس المدرسين، وركب الشيخ الدردير والشيخ العروسي والشيخ محمد المصيلحي وآخرون، وذهبوا إلى بيت إبراهيم بك وتكلموا معه بحضرة سليمان بك كلامًا كثيرًا مفحمًا.

فاحتج سليمان بك بأن: "ذلك متاع أولاد وافي وأنا أخذته بقيمته من أصل مالي عندهم". فقالوا: "هذا لم يكن لهم وإنما هؤلاء أربابه، ناس فقراء، فإن كان لك عند أولاد وافي شيء فخذه منهم". فردّ بعضه وذهب بعضه...



وفيه [منتصف جمادى الثانية عام ١٢٠٠ هـ] اجتمع الناس بطنطا لعمل مولد سيدي أحمد البدوي، المعتاد المعروف بمولد الشرنبابلية، وحضر كاشف[١] الغربية والمنوفية على جاري العادة، وكاشف الغربية من طرف إبراهيم بك الوالي المولى أمير الحاج، فحصل منه عسف وجعل على كل جمل يباع في سوق المولد نصف ريال فرانسة، فأغار أعوان الكاشف على بعض الأشراف وأخذوا جمالهم.

وكان ذلك في آخر أيام المولد، فذهبوا إلى الشيخ الدردير، وكان هناك بقصد الزيارة، وشكوا إليه ما حل بهم، فأمر الشيخ بعض اتباعه بالذهاب إليه، فامتنع الجماعة من مخاطبة ذلك الكاشف، فركب الشيخ بنفسه وتبعه جماعة كثيرة من العامة.

فلما وصل إلى خيمة كتخدا الكاشف دعاه فحضر إليه والشيخ راكب على بغلته، فكلمه ووبخه وقال له: "أنتم ما تخافون من الله".

وفي أثناء كلام الشيخ لكتخدا الكاشف هجم على الكتخدا رجل من عامة الناس وضربه بنبوت، فلما عاين خدامه ضرب سيدهم هجموا على العامة بنبابيتهم وعصيهم، وقبضوا على السيد أحمد الصافي تابع الشيخ وضربوه عدة نبابيت. وهاجت الناس على بعضهم ووقع النهب في الخيم وفي البلد ونهبت عدة دكاكين. وأسرع الشيخ في الرجوع إلى محله وراق الحال بعد ذلك.



وركب كاشف المنوفية وهو من جماعة إبراهيم بك الكبير، وحضر إلى كاشف الغربية وأخذه وحضر به إلى الشيخ وأخذوا بخاطره وصالحوه ونادوا بالأمان. وانفض المولد ورجع الناس إلى أوطانهم وكذلك الشيخ الدردير، فلما استقر بمنزله حضر إليه إبراهيم بك الوالي وأخذ بخاطره أيضًا وكذلك إبراهيم بك الكبير وكتخدا الجاويشية[١].

---

(١) الكاشف هو من يحكم الكاشفية، وحدة إدارية بكل إقليم.

(٢) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، **ج٥ص٦١٠** وما بعدها، ط. دار الجيل.

مقال عالم أسير



بين الراعي والرعية

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

•• جاء فيه أيضاً من قوله صلى الله عليه وسلم: «ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح؛ إلا لم يدخل معهم الجنة»

لما اشتكى بعض أهل الكوفة أميرهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أنه كان يعلم كذب تلك الشكوى، فسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن العشرة المبشرين بالجنة، وفدَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بوالديه.

ومع ذلك رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يعزله من الإمارة درءاً للفتنة في المجتمع، وقطعاً لمادة الجدل والقيل والقال. وحتى يعلم الناس أن عمر رضي الله عنه لم يعزل سعداً لما قيل عنه، فإننا نجده بعد سنوات لَـمَّا طعن يذكره في أهل الشورى الستة الذين يختارون الخليفة من بعده، ويقول بأنه: (لم يعزله عن عجز أو خيانة)[١].

فانظر إلى فقه عمر وبُعْد نظره وعمق بصيرته، وحرصه على الاستقرار السياسي والتماسك الاجتماعي بين الراعي والرعية؛ فبمقدار الأُلفة والمحبة والثقة بين الطرفين يتحقق الاطمئنان والسلم الاجتماعي، وفي هذا الباب يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلُّون عليكم وتصلون عليهم. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»[٢].

هذا الترابط الوثيق المبني على التراحم والشفقة وليس على المغالبة والمشاحنة: هو السبيل الوحيد لاستقرار المجتمع، وتماسك بنيانه؛ ولهذا نرى النبي صلى الله عليه وسلم يقطع الطريق على كل ما يكدر هذه الصلة، ويبيِّن

(١) أخرجه: البخاري في فضائل الصحابة، رقم (٣٧٠٠). (٢) أخرجه: مسلم في كتاب الإمارة، رقم (١٨٥٥).

أن أساس العقد السياسي الذي تجتمع عليه الأمة هو التراضي والأُلفة؛ ففي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أمَّ قوماً وهم له كارهون، فإن صلاته لا تجاوز ترقوته»[٣]، فإذا كان هذا في إمامة الصلاة لعدد محدود من المسلمين، فكيف بالإمامة العظمى؟

ومن ألطف ما قرأته في هذا السياق ما رواه مسلم في صحيحه أن عبد الرحمن بن شماسة قال: أتيت عائشة - رضي الله عنها - أسألها عن شيء، فقالت ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم يعني معاوية بن خديج لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئاً، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج النفقة فيعطيه النفقة. فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفِق به»[٤].

فعمرو بن العاص رضي الله عنه عرف واجبه نحو رعيته فكان لهم نعم النصير والرفيق، وعائشة رضي الله عنها بكل إنصاف وتجرُّد تبين منهج الإسلام في ترسيخ أواصر الرحمة والشفقة السياسية؛ ولهذا كان شر الولاة الذي يحطم الناس بعنفه وشدته، وتحميله لهم ما لا يطيقون؛ فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن شر الرعاء الحطمة»[٥].

---

(٣) عزاه الألباني إلى ابن عساكر، وصححه بمجموع طرقه في السلسة الصحيحة، رقم (٢٣٢٥).
(٤) أخرجه: مسلم في كتابة الإمارة، رقم (١٨٢٨).
(٥) أخرجه: مسلم في كتابة الإمارة، رقم (١٨٣٠).

ومن الصور العملية الرائعة التي تحقق هذه الغاية العظيمة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب في رعيته قائلاً: (ألا إني - والله - ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلِّموكم دينكم وسُنَّتكم؛ فمن فُعِل به شيء سوى ذلك فَلْيرفعه إليَّ؛ فوالذي نفسي بيده إذاً لأقصنه منه. فوثب عمرو بن العاص - رضي الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين! أوَ رأيت إن كان رجل من المسلمين على رعية، فأدب بعض رعيته، أئنك لمقتصه منه؟ قال: إي والذي نفس عمر بيده إذاً لأقصنه منه، أنَّى لي لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفِّروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم)[٦]؛

> ومن رقَّة عمر - رضي الله عنه - وشفقته على رعيته أنه استعمل رجلاً من بني أسد على عمل، فدخل ليُسلِّم عليه، فأتى عمر - رضي الله عنه - ببعض ولده فقبَّله، فقال له الأسدي: أتقبِّل هذا يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما قبَّلت ولداً لي قط! فقال عمر - رضي الله عنه -: «فأنت - والله! - بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملاً»، فردَّ عهده[٧].

فعمر - رضي الله عنه - في هذين النصين العزيزين كان واضحاً في خطابه مع الولاة والرعية، حازماً في رعاية حقوق الناس، حريصاً على تعزيز كرامتهم وإنسانيتهم؛ فمهمة الوالي ليست التسلط والتطاول على الناس وسلبهم أموالهم؛ بل الإحسان إليهم، والحفاظ على حقوقهم، وإخراجهم من دواعي العبودية والذلة لغير الله تعالى؛ ولهذا توعد النبي صلى الله عليه وسلم الوالي الذي يُعرِض عن حقوق الناس، ويستهين بحاجاتهم، بقوله: «ما من إمام أو والٍ يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة؛ إلا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلته ومسكنته»[٨].

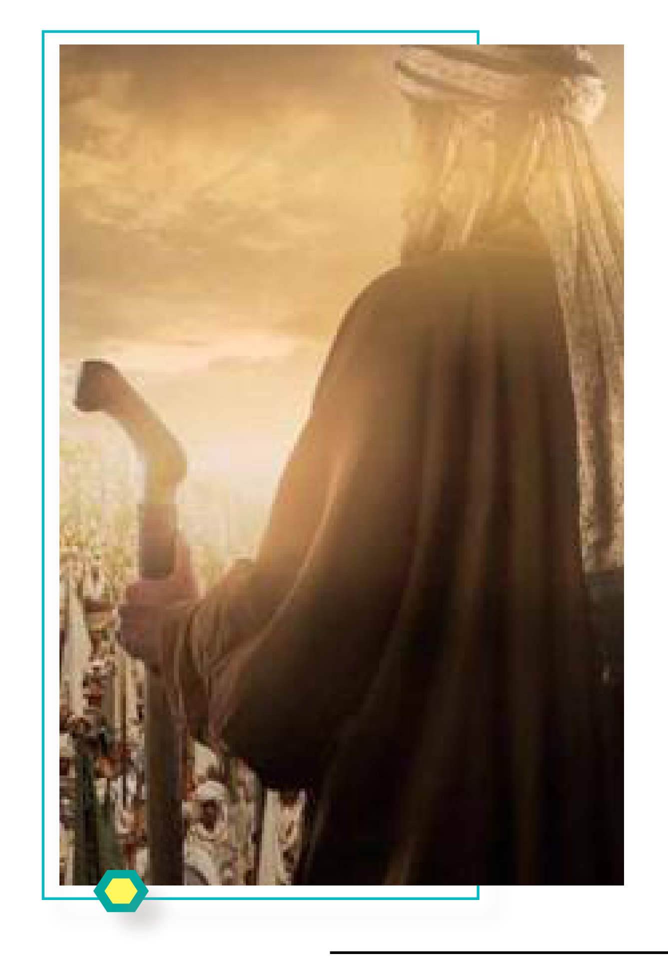
---

(٦) أخرجه: أحمد، رقم (٢٨٦). والغِياضُ: جمع غَيْضة؛ وهي الشجر المُلْتَفُّ؛ لأَنهم إذا نزَلُوها تفرَّقوا فيها فتمكَّن منهم العدوُّ. لسان العرب، مادة (غيض)

(٧) أخرجه: هناد بن السري في الزهد: (٢/٦١٩)، رقم (١٣٣٢).

(٨) أخرجه: أحمد، رقم (١٨٠٣٣)، ونحوه برقم (١٥٦٥٢)، والترمذي في كتاب الأحكام، رقم (١٣٣٢). وصححه لغيره الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

ومــن الأخبـــار العجيبة التـي تسـتحق التـأمـل والدراسـة، ما رواه أبو قبيل قال: (خطبنا معاوية رضي الله عنه في يوم جمعة فقال: إنما المال مالنا، والفيء فيؤنا، من شئنا أعطينا، ومن شئنا منعنا. فلم يردَّ عليه أحد. فلما كانت الجمعة الثانية قال مثل مقالته، فلم يردَّ عليه أحد. فلما كانت الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام رجل ممَّن شهد المسجد فقال: كلا، بل المال مالنا، والفيء فيؤنا، من حال بيننا وبينه حاكمناه بأسيافنا. فلما صلى أمر بالرجل فأُدخل عليه، فأجلسه معه على السرير، ثم أذن للناس فدخلوا عليه، ثم قال: أيها الناس! إني تكلمت في أول جمعة فلم يردَّ عليَّ أحد، وفي الثانية فلم يردَّ علي أحد، فلما كانت الثالثة أحياني هذا أحياه الله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيأتي قوم يتكلمون فلا يُرَدُّ عليهم، يتقاحمون في النار تقاحم القردة»، فخشيت أن يجعلني الله منهم، فلمَّا ردَّ هذا عليَّ أحياني أحياه الله، ورجوت أن لا يجعلني الله منهم)[٩].



•• فانظر إلى سرعة فيء معاوية رضي الله عنه ورجوعه إلى الصواب وإنصافه من نفسه، واعترافه بالحق أمام رعيته دون استنكاف أو تكبر.

الخلاصة: إن الوالي بهذا المفهوم أجير عند الناس، يسعى في حاجاتهم ويحوطهم برعايته ومسؤوليته، وهذا ما فهمه أبو مسلم الخولاني، رحمه الله؛ فقد دخل على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وقال: السلام عليك أيها الأجير! فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم! ثم قال: السلام عليك أيها الأجير! فقال الناس: الأمير! فقال معاوية: دعوا أبا مسلم هو أعلم بما يقول.

---

(٩) أخرجه: أبو يعلي، برقم (٧٣٨٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٣٦): (رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو يعلى، ورجاله ثقات). وصححه محقق مسند أبي يعلى، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١٧٩٠).

قال أبو مسلم: (إنما مثلك مثل رجل استأجر أجيراً فولاه ماشيته، وجعل له الأجر على أن يُحسِن الرعية، ويوفر جزازها وألبانها، فإن هو أحسن رعيتها ووفر جزازها وألبانها حتى تلحق الصغيرة، وتسمن العجفاء؛ أعطاه أجره وزاد من قِبَله زيادة.

وإن هو لم يُحسِن رعيتها، وأضاعها حتى تهلك العجفاء، وتعجف السمينة، ولم يوفر جزازها وألبانها؛ غضب عليه صاحب الأجر، فعاقبه ولم يعطه الأجر)[١٠].

لكن متى تتحقق هذه الشفقة من الراعي؟ إنها الشفقة التي هي محصلة صدق الراعي في أداء الأمانة، وإخلاصه في خدمة رعيته؛ ذلك أن غش الرعية والتفريط في حقوقها بالغُ الخطورة وخيمُ العاقبة، كما جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»[١١].

وكما جاء فيه أيضاً من قوله صلى الله عليه وسلم: «ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح؛ إلا لم يدخل معهم الجنة»[١٢].

وقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يخاف على أمته من بعض الأئمة المضلين، فقال: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين»[١٣].

---

(١٠) أبو نعيم، في حلية الأولياء: (٢/١٢٥). (١١) أخرجه: مسلم في كتابة الإمارة، رقم (١٨٢٩).
(١٢) أخرجه: مسلم في كتاب الإمارة، رقم (١٨٢٩).
(١٣) أخرجه: أبو داود في كتاب الفتن والملاحم، رقم (٤٢٥٢). والترمذي في كتاب الفتن، رقم (٢٢٢٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١٥٨٢).

وإمامة الضلال ها هنا جامعة لكل من يقود الناس إلى غير الطريق المستقيم والسبيل السوي الذي يصلح به حال الدين والدنيا، ولن تكون تلك القيادة موفقة مسدَّدة إلا إذا كان شرع الله هو المنهاج الذي يعتصم به الرعاة.

قال شيـخ الإسلام ابن تيمــية: (إن انفرد السلطان عن الدين، أو الدين عن السلطان، فسدت أحوال الناس)[١٤].

تـأمل هـذا كله ثــم قارنـه بتلك القطيعة المتجذرة والفجوة الهائلة في عالمنا العربي بين كثير من الحكومات وشعوبها، فهي علاقة تأسست بِنيتها السياسية على الأثرة والأنانية والأهواء الشخصية، وصيغ نسيجها الاجتماعي على التنافر والتعانف. ولا أجد لذلك تفسيراً يوضحه إلا الغش والخيانة التي تتدثر بها بعض الأنظمة والحكومات، التي لم تلتفت إلى مصالح الشعوب ولم تقدر حقوقهـم وتطلعاتهـم

وإن تعجب فلن ينقضي عجبك عندما ترى استئثار بعض الرؤساء بالسلطة، وتضحيتهم بحقوق الشعب وبمقدرات الدولة، وبمستقبل الأجيال، مع أن أكثر الناس أعلنوا كراهيتهم ورفضهم له، ومع هذا فلا يرتد إليهم إلا صدى القمع والعناد والإصرار على البقاء في كرسي الحكم وإن كرهه من كرهه ومات من مات بسبب بغضه!

(١٤) ابن تيمية، في السياسة الشرعية (ص ٤٦٠).

وسنة الله - تعالى - التي لا تتغير في جميع الفراعنه عبر التاريخ: أن علوهم في الأرض واستكبارهم فيها لا يتحقق إلا باستضعاف الناس وتفريق كلمتهم وازدراءهم والاستخفاف بهم، كما قال الله - تعالى {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٤]، وقال سبحانه وتعالى {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} [الزخرف:٥٤]. لكن سنة الله تعالى أيضاً لا تتبدل في أمثال هؤلاء؛ فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله - عز وجل - يُملِي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود:١٠٢])[١٥].



يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وغاية مريد الرياسة أن يكون كفرعون، وجامع المال أن يكون كقارون، فقال تعالى {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ} [غافر:٢١])[١٦].

---

(١٥) أخرجه: البخاري في كتاب التفسير، رقم (٤٦٨٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، رقم (٦٥٢٤).

(١٦) ابن تيمية، في السياسة الشرعية، (ص ٤٥٦).



مرهقة ومشتتة.. القوات الأمريكية مستعدة لمغادرة أفغانستان

للمحلل العسكري الأمريكي: تشارلز ف. بينيا [١]

ترجمة : حامد عبدالعظيم

قبل قراءة المقال (مقدمة وجيزة للمترجِم):

كاتب هذا المقال شخصية لها ثقلها، فهو باحث كبير بمركز الأبحاث الأمريكي (المعهد المستقل) بكاليفورنيا، ولديه أكثر من خمسة وعشرين عامًا من الخبرة كمحلل سياسات، وهو مؤلف كتاب (ربح الأمم المتحدة، استراتيجية جديدة للحرب على الإرهاب).

(١) المقال الأصلي منشور بموقع المركز الأمريكي: ناشيونال إنترنست ، ٢٨ / ١٠ / ٢٠١٩ م.

في هذا المقال تتبين أهمية المقاومة والثبات عليها وعدم المساومة على مقدرات البلاد، ويظهر أن مآل المقاومة والجهاد هو النصر على المحتل لا محالة، وأن المسألة مسألة وقت لا أكثر، فالمحتل لا يستطيع أن يبقى في أرض بها مقاومة وطنية متمسكة بقضيتها وحاملة لسلاحها ولا توجهه إلا إلى صدور أعدائها لا شعبها، وهذا هو الفرق بين طالبان وداعش، فطالبان استمرت طيلة هذه السنوات وازدادت قوة بسبب اكتسابها للحاضنة الشعبية وعدم توجيه سلاحها نحوها، في حين أن داعش توسع في التكفير والاستعداء واتهام النوايا فنفر عنه الناس، وأعني بالناس هنا عوام الأمة وخواصها من الصادقين.

هذا المقال غيض من فيض للنواح الأمريكي على الخسائر التي تتكبدها أمريكا بكل ساعة إضافية تجلسها في أفغانستان، هذه الأرض المسلمة المباركة التي استطاع أهلها غرز القدم الأمريكية في الوحل الأفغاني، واستطاعوا أن يطردوا قوات حلف الناتو شر طردة في انسحاب ذليل، تاركًا وراءه صديقه الأمريكي وحده في ورطة استمرت حتى الآن أكثر من 17 سنة، لقد استطاع الأفغان أن يُضعفوا الهيبة الأمريكية والاقتصاد الأمريكي وداسوا بأقدامهم الطاهرة على وجوه المحتلين الكفرة.

إنها القوة وسحرها، وصدق القضية وعجائبها التي لا تنقضي، وإخلاص الرجال ومفعوله الجبار، وصدق من قال "إنما النصر صبر ساعة"، والآن نترككم مع المقال.

مرهقة ومشتتة.. القوات الأمريكية مستعدة لمغادرة أفغانستان

إن كانت الولايات المتحدة منخرطة في حرب أمن قومي، فستكون على استعداد لقبول التكاليف التي تفرضها حرب مكافحة التمرد، لكن حرب أفغانستان ليست حرب أمن قومي.

لقد تبدد الأمل في التوصل إلى حل سلمي في أفغانستان، عندما أدى هجوم لطالبان إلى مقتل جندي أمريكي وإحدى عشر آخرين في 6 سبتمبر بكابُل. وبعد

أقل من أسبوعين، تسبب هجومان منفصلان لطالبان في يوم واحد بمقتل ثمانية وأربعين شخصًا، وبعد ذلك قتلت طالبان عشرين شخصًا بسيارة مفخخة في مستشفى بمدينة قلعة جيلجي جنوب أفغانستان[٢].

هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن هذا النوع من الفوضى سيستمر ، لكن يجب ألا يؤجل ذلك خروج الولايات المتحدة -المتأخر- من أطول حرب مستمرة. لقد ألغى الرئيس دونالد ترامب محادثات السلام مع طالبان في أعقاب هجوم ٦ سبتمبر، لكنه لا يحتاج أن يتفاوض على سلام للوفاء بوعد حملته وإعادة القوات الأمريكية إلى الوطن.



من المؤكد أن سحب القوات الأمريكية من أفغانستان لن يؤدي بطريقة سحرية إلى حل سلمي، لكن الاحتفاظ بالقوات هناك لن يفعل أيضًا. في الواقع إن الوجود العسكري للولايات المتحدة هو جزء مما يؤجج العنف في أفغانستان؛ لأن القوات الأمريكية هي قوة احتلال أجنبية تولّد الغضب لدى السكان، بغض النظر عن نوايانا، تمامًا كما يحدث إذا استولى جيش أجنبي على أمريكا.

علاوة علــى ذلك ، فــإن أربعة عشر ألف جندي أمريكي في أفغانستان غير كافيين من الناحية الواقعية لإخماد العنف بالبلاد، والذي سبق التدخل الأمريكي وسيستمر بعد رحيل هؤلاء الجنود. المعيار المقبول لمكافحة التمرد الناجح هو نسبة قوة لا تقل عن ٢٠ جنديًا لكل ألف من السكان.

(٢) وفق رواية الطرف الآخر "حركة طالبان" فإن هذا الحادث استهدف مديرية تابعة للأمن الوطني التابع للولايات المتحدة وليس المستشفى.

ووفقًا للتقرير الفصلي الصادر عن المفتش العام لإعادة إعمار أفغانستان في يناير ٢٠١٩م، فإن المتمردين الأفغان "زادوا من سيطرتهم أو نفوذهم بشكل طفيف على المناطق التي يعيش فيها ١٠٨ % من السكان (٣.٦ مليون شخص)"، و"ارتفع عدد السكان الذين يعيشون في المناطق المتنازع عليها إلى ٨.٥ مليون")لم تستمر هذه البيانات في الظهور بالتقارير اللاحقة). مما يتطلب قوة قوامها ٢٤٢٠٠٠ جندي، أي أكثر من ضعف أعلى عدد مطلوب والذي كان في أغسطس ٢٠١٠. إن نشر هذا الحجم من شأنه أن يكلف جيشنا ثمنًا باهظًا، والشعب الأمريكي بحكمةٍ لن يدعمه.

هناك أيضًا مشكلة لا مفر منها، وهي الضرر اللازم بغض النظر عن محاولتنا تجنبه والمترتب على العمل العسكري الذي يستهدف العدو، فهو يؤدي في كثير من الأحيان إلى قتل المدنيين الأبرياء. في الواقع لقد أدت غارة أمريكية الأسبوع الماضي بطائرة دون طيار تستهدف مخبأ لتنظيم الدولة الإسلامية في أفغانستان إلى مقتل ثلاثين مدنياً على الأقل. ومنذ يناير ٢٠٠٩ وثقت الأمم المتحدة أكثر من ستة عشر ألف قتيل مدني، وحتى الآن في هذا العام وحده كان الرقم أكثر من ثلاثمائة. يترتب على ذلك الضرر الجانبي تنفير السكان المدنيين، مما يخلق المزيد من الغضب من القوات الأجنبية والمزيد من التعاطف مع المتمردين.

إن كانت الولايات المتحدة منخرطة في حرب أمن قومي، فستكون على استعداد لقبول التكاليف التي تفرضها حرب مكافحة التمرد. لكن الحرب بأفغانستان ليست حرب أمن قومي.

" فطالبان والقاعدة وحتى داعش يشكلون تهديدات داخلية للحكومة الأفغانية، وجزءًا من الصراع على السلطة حول من يسيطر على البلاد، لكن لا يوجد جراء ذلك تهديدات مباشرة (ناهيك عن وجودها) للولايات المتحدة. وعلى الرغم من وجود حكومة تمثيلية متعددة الأعراق وديمقراطية في أفغانستان، إلا أن وجود حكومة كهذه ليست ضرورية للأمن القومي الأمريكي. "

- كل ما نحتاج إليه هو أن تعرف أي حكومة تسيطر على أفغانستان أن الولايات المتحدة لن تتسامح مع دعم أو إيواء أي جماعة إرهابية ذات نطاق عالمي يهدد الولايات المتحدة بشكل مباشر. هذا صحيح حتى لو لم تكن الحكومة المعنية حكومة صديقة.



لا تنسَ أن ترخيص استخدام القوة العسكرية الذي وافق عليه الكونجرس في ١٤ سبتمبر **٢٠٠١م**، كان "لاستخدام كل القوة اللازمة والملائمة ضد الدول أو المنظمات أو الأشخاص الذين خططوا أو ارتكبوا أو ساعدوا في شن الهجمات الإرهابية التي وقعت في ١١ سبتمبر **٢٠٠١م**، أو أسهموا في إيواء مثل هذه المنظمات أو الأشخاص". والمعنِي بذلك أسامة بن لادن والقاعدة والحكومة التي كانت بقيادة طالبان في ذلك الوقت، لأنها وفرت الملاذ الآمن لابن لادن والقاعدة.

وهذه المهمة قد انتهت منذ فترة طويلة، طُردت طالبان من السلطة في غضون أسابيع، وتعطلت القيادة العليا لتنظيم القاعدة وتشرذمت على مدار الأعوام القليلة التالية -بصورة أكبر إلى الجارة باكستان- وعُثر على أسامة بن لادن وقتلته قوات العمليات الخاصة الأمريكية في مايو ٢٠١١.

لذلك من العدل أن نقول "لقد أُنجزت المهمة"، وقد مضى وقت طويل للاعتراف بأن التهديد الحالي في أفغانستان لا يستدعي استمرار الوجود العسكري الأمريكي. وأصبحت المهمة واحدة وهي بناء الأمة، والتي تجنبها ترامب بحق كمرشح، فبدلاً من الاستمرار في المخاطرة بالدم الأمريكي والثروة، يجب علينا الخروج من أفغانستان بأقصى سرعة.

ترحب مجلة كلمة حق باستقبال مقالات القراء ، إذ تعمل هيئة التحرير على فرزها ونشر المتميز منها في كـل عدد جديد ، يُرجى إرسال المقالات على البريد التالـي Klmtuhaq@gmil.com

شروط المقال

(١) ألا يكون عاطفيا يخاطب الشعور بل عقلانيا وما أجمل لو يكون خلاصة علمية.

(٢) أن يكون في باب الثورة والمقاومة والكفاح، فذلك واجب الوقت.

(٣) أن يكون عمليًا مفيدا وأحسن ما يكون لو قدم إجابة على سؤال كيف نفعل كذا، أو في الموقف الفلاني ماذا ينبغي أن نفعل، وهو مجال واسع، يكتب فيه السياسي والاقتصادي والقانوني والإعلامي والشرعي الثورات الأمة بحاجة لخبرات في كل هذه المجالات

(٤) أن يكون مكتوبًا باسم صاحبه، لا باسم مجهول ولا بكنية، فلئن كان ثمة ما قد يعرقل نشر الاسم الظروف خاصة ، فيمكن للمجلة أن تحتفظ بالاسم دون نشره لرغبة صاحبه.

